جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

صَنْعَةُ السَّكَّاكِي فِي التُّرَاثِ البَلَاغِي لِلْأَصْحَابِ "التَّجْنِيسُ" نَمُوذَجًا

The Sakaki Craftsmanship In The Rhetorical Heritage Of The "Naturalization" People As An Example

إعداد

د / عبد الوهاب عبده أحمد علي

مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجرجا

(العدد الرابع والأربعون)
(الإصدار الأول-فبراير)
(الجزء الأول (١٤٤٦هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٥/٦٢٧١م

صَنْعَةُ السَّكَّاكِي فِي التُّرَاثِ البَلَاغِي لِلأَصْحَابِ " التَّجْنِيْسُ" نَمُوذَجًا

عبد الوهاب عبده أحمد علي

قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، جرجا، مصر.

البريد الإلكتروني: *d.elwhab@yahoo.com*

الملخص:

لقد مرّ علم البلاغة بمراحل مختلفة إلى أن تحددت معالمه، واستقرت قواعده، ولقد مثّل كلّ مرحلة من هذه المراحل عدد من الدارسين الأفذاذ الذين أسهموا في تأسيس هذا العلم، واجتهدوا في وضع النظريات والتصورات والمصطلحات التي تخصّه، ومن هؤلاء العلماء: " أبو يعقوب يوسف بن محمد بن على السَّكَّاكِيّ (ت:٦٢٦هـ)"، " إذ استطاع أن ينفذ من خلال الكتابات البلاغية قبله إلى عمل ملخص دقيق لما نثره أصحابها من آراء وما استطاع أن يضيفه إليها من أفكار، وصاغ ذلك كله صيغة مضبوطة محكمة استعان فيها بقدرته المنطقية في التعليل والتسبيب، وفي التجريد والتحديد والتعريف والتقسيم والتفريع والتشعيب .

ولقد استفاد السَّكَّاكِيّ في عمله هذا من كتابي عبد القاهر الجرجاني(ت:٤٧١هـ) "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة"، وكتاب "الكشاف" للزمخشري(ت:٥٣٨هـ) وكتاب "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" لفخر الدين الرازي(ت:٦٠٦هـ)، وهذا البحث يلقي الضوء علي صنعة السَّكَّاكِيّ في تراث أسلافه في فن التجنيس من علم البديع، واللهَ أسأل أنْ يَمْنَحْنِي التوفيقَ والسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الكلمات المفتاحية: الصنعة، الجناس، مفتاح العلوم، الأصحاب، تأثر وتأثير.

The Sakaki craftsmanship in the rhetorical heritage of the “naturalization” people as an example

Abdul Wahab Abdo Ahmed Ali
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Girga, Egypt.

Email: *d.elwhab@yahoo.com*

Abstract:

The science of rhetoric has passed through various stages until its features were defined and its rules were established. Each of these stages was represented by a number of distinguished scholars who contributed to the establishment of this science and worked hard to develop theories, concepts and terminology that pertain to it. Among these scholars is Al-Sakaki (d. 626 AH)” As he was able to penetrate, through therhetorical writings before him, to create an accurate summary of the opinions expressed by their authors and the ideas that he was able to add to them, and he formulated all of this in a precise and precise formula in which he used his logical ability in reasoning and reasoning, and in abstraction, definition, definition, division, branching, and division

In this work, Al-Sakaki benefited from the two books of Abdul Qahir Al-Jurjani (d. 471 AH) “Evidence of the Miracle” and “The Secrets of Eloquence,” the book “Al-Kashaf” by Al-Zamakhshari (d. 538 AH) and the book “Nihayat Al-Ijaz fi Derayah Al-I’jaz” by Fakhr Al-Din Al-Razi (d.: 606 AH), and this research sheds light on Al-Sakaki’s craftsmanship in the legacy of his predecessors in the art of naturalization from the knowledge of Al-Badi’, and by God I ask that He grant me success and guidance, for He is the Protector of that and the One who is capable of it.

Keywords: *Craftsmanship, Paronomasia, Key To Sciences, Companions, Influence And Impact.*

مقدمـــة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمين، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَي أَشْرفِ المُرْسَلِين، سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدِّيْن، **وبعد**:

فَإِنَّ عِلْمَ البَلاغَةِ كغيره من العلوم كانت له جذوره القديمة، حيث وُضِعَت أصوله من خلال جهود متتابعة يبدأ فيها البادئ من حيث انتهى السابق، حتى تكامل البناء تقعيدًا وتبويبًا على يد العلامة " أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السَّكَّاكِيّ(ت:٦٢٦هـ)" في كتابه" مِفْتَاحُ العُلُومِ".

هذا، وقد أفاد " السَّكَّاكِيُّ " من تراث مَنْ سبقه من جهابذة أهل هذا الفَنِّ، فجاء كتابُه برهانًا ساطعًا علي ثقافة مؤلفه، وذاع صيته في الأوساط العلمية، فأقبل عليه العلماء بقراءته وشرحه، فكان مفتاحا لمن جاء بعده من علماء البلاغة؛ إذ إنه تبوأ المكانة الرفيعة بين الكتب، وتربع على عرش البحث البلاغي طيلة سبعة قرون متتالية، وقد كان في مواضع كثيرة منه ينُصُّ علي مَنْ أخذ منهم، وخَصَّ بعْضًا منهم باسم الأصحاب، وهو يعني: الإمام عبد القاهر (ت:٤٧١هـ)، والعلامة الزَّمَخْشَري (ت:٥٣٨هـ)، والإمام فخر الدين الرَّازي (ت:٦٠٦هـ)، ومن هنا كانت فكرة البحث؛ للوقوف علي ما ورثه عن هؤلاء الأصحاب، وما أضافه إلي ذلك من صنعته، فجاء البحث بعنوان:(صَنْعَةُ السَّكَّاكِي فِي التُّرَاثِ البَلَاغِي لِلْأَصْحَابِ التَّجْنِيْسُ نَمُوذَجًا)[1]، معتمدا فيه علي المنهج الوصفي القائم علي الاستقراء والتحليل عن طريق تحديد

---

(١) وقد استقيتُ الفكرة من رسالتين الأولي: صنعة السَّكَّاكِي في الميراث البلاغي للأصحاب في علم المعاني للباحث/ محمد عبد العزيز أحمد سيد – دكتوراة– مخطوط بكلية اللغة العربية بأسيوط، والأخرى: صنعة السَّكَّاكِي في تراث الأصحاب في التشبيه دراسة ونقدا، للباحثة/ كوثر علي إبراهيم – ماجستير– مخطوط بكلية اللغة العربية بأسيوط .

جزئيات البحث في تراث الأصحاب وجمعها محاولا الوقوف علي مدي إفادة السَّكَّاكِي منها وذلك في الخطوات التالية:

١- قراءة نصوص الأصحاب المتعلقة بفن التجنيس وجمعها .

٢- النظر في صنعة السَّكَّاكِي وإفادته من تراث الأصحاب .

٣- الرجوع إلي المصادر المتعلقة بكتاب "مفتاح العلوم" تيسيرا للوقوف علي صنعته .

٤- توثيق جميع النصوص المتعلقة بتراث الأصحاب وكذا صنعة السَّكَّاكِي في التجنيس.

وقد اشتمل البحث علي مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث علي النحو التالي: **المبحث الأول**: صَنعة السَّكَّاكِي في التَّجْنِيْس التَّام المُفْرد، **الثاني**: صَنعة السَّكَّاكِي في التَّجْنِيْس غير التَّام، **الثالث**: صَنعة السَّكَّاكِي في التَّجْنِيْس التَّام المُرَكَّب، **الرابع**: صَنعة السَّكَّاكِي فيما يُلْحق بالتَّجْنِيْس، **الخامس**: مظاهر صَنعة السَّكَّاكِي في تراث الأصحاب في التَّجْنِيْس، وأعقب ذلك **الخاتمة وفهرس بأهم المصادر والمراجع**

"هذا والله من وراء القصد وهو الهادي إلي سواء السبيل"

التمهيد

التعريف ببعض مصطلحات العنوان

أولًا: مفهوم " الصَّنْعَةِ ":

الصَّنْعَةُ من المُصْطلحات النَّقْدية التي شاعت على ألسنةِ النُّقَاد قديمًا وحديثًا[١]، وتستحكم بأربعة أشياء: جودة الآلة، وإصابة الغرض المقصود، وصحة التأليف، والانتهاء إلى نهاية الصنعة [٢]، والغرض منها إجراء ما يُصنع ويُعمل بها على غاية التجويد والكمال[٣]، ومن خلال تناول النقاد القدماء والمحدثين ومعالجتهم لمفهوم الصنعة، يمكن استنتاج أنَّ الصَّنْعَةَ تعنى: الحَذْقَ والتَّجْويدَ والتَّحْبِيرَ والاسْتِحكَامَ في العمل، وتدرك بالتعلم، ويصير صاحبها عالمًا[٤].

وتبرز صنعة " السَّكَّاكِي " في مؤلفه في مظاهر عدَّة منها: اختصاره لكلام السابقين – استيفائه لمسائل الفن وحصرها– ترتيبه للمسائل وفصل بعضها عن بعض – اصطناعه للتفريعات – تقريره القواعد وتجريدها وغير ذلك كما سيتضح من الدراسة[٥].

---

(١) ينظر: سر الفصاحة لابن سنان ص ٩٣،٩٤ ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط أولى ١٩٨٢م، المصطلح النقدي في نقد الشعر– إدريس الناقوري ص ٢٦٩ ط: ثانية ١٣٩٤هـ – المنشأة العامة للتوزيع – ليبيا .

(٢) الموازنة بين أبى تمام والبحتري للآمدي، تح/ محمد محيى الدين ٣٨٢،٣٨١ – ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

(٣) نقد الشعر لقدامة بن جعفر تح/ محمد عبدالمنعم خفاجي ص٦٤، ط: دار الكتب العلمية – بيروت .

(٤) صنعة السكاكي في الميراث البلاغي للأصحاب في علم المعاني (مخطوط دكتوراة) للباحث/ محمد عبدالعزيز ص٧ .

(٥) يراجع: صنعة السكاكي في الميراث البلاغي للأصحاب في علم المعاني ص ٨، البلاغة تطور وتاريخ د/ شوقي ضيف ص ٢٢٨، بحوث ومقالات في البلاغة د / فتحي عبد القادر فريد ص٢١ ط أولي ١٩٨٤م– مكتبة النهضة المصرية .

ثانياً: في التعريف بـ " السَّكَّاكِي":

هو أبو يَعْقُوب يُوسف بن محمد بن على السَّكاكيّ الخَوَارزمي الحَنَفِي، ولد في قرية من قرى خوارزم عام(٥٥٥هـ/١١٦٠م) وعاش في ظل الدولة الخوارزمية وسلطانها (أيل أرسلان)[١].

لقبه: تتفق المصادر التي ترجمت له على لقبه السَّكَّاكِيّ، وإن اختلفت في سرّ هذه النسبة، ويظهر أن أسرته كانت تحترف صنع المعادن؛ ومن ثم شاع لها لقب السَّكَّاكِيّ، وربما كانت تعنى بصنع السَّكَّة، وهي حديدةٌ منقوشةٌ تُضْرَبُ بها الدَّراهم، وقيل: لقب بذلك؛ لأنه ولد بقرية تسمّى سكاكة، وقد ذكر مترجموه أنه ظل إلى نهاية العقد الثالث من حياته يعنى بصنع المعادن، حتى وقر في نفسه أنْ يخلصَ للعلم ويتفرغ له، ومن ثَمَّ كان ذلك سبب نِسْبته.

حياته وطلبه للعلوم: عاش السَّكاكيّ حياته كلها –على الراجح– في إقليم خوارزم لم يتحول عنه إلى غيره، حيث اكتفى بتحصيل علومه في مساجد خوارزم، متأثرا بتلك البيئة التي كانت مركزا من المراكز العلمية آنذاك، وكان المذهب الشائع في خوارزم هو الاعتزال، وقد تخرج في تلك البيئة جملة من الأعلام، منهم عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) صاحب (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) و(الجمل)، ورشيد الدين الوطواط (٥٧٣هـ) صاحب (دقائق السحر) وجار الله الزمخشري (٥٣٨هـ) صاحب (الكشاف) و (أساس البلاغة) و (المفصل في النحو) و(الأنموذج في النحو) وغيرها من التصانيف

---

(١) ينظر في التعريف بالسكاكي: طبقات الشافعية بترجمة ابن القفال ١٩٩/٣، والجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢٢٥/٢، وتاريخ العلوم البلاغية للمراغي ص ١١٠ ط: مكتبة الحلبي، والبلاغة عند السكاكي د / أحمد مطلوب ص ٤٦ ط: مطبعة النهضة ببغداد .

النافعة، وفخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) صاحب (التفسير الكبير)و(نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) وغيرهم(١).

ثالثا: مفهوم " التُّراث ":

التُّرَاثُ فِي اللغة: تُجْمِعُ المعاجمُ العربيةُ على أنَّ كلمةَ " التُّرَاثِ " مأخوذةٌ من الفعل "وَرِثَ"(٢)، والتُّرَاثُ والمِيْرَاثُ والْإِرْثُ في اللغةِ: هي أنْ يكون الشيءُ لقَوْمٍ ثُمَّ يصيرُ إلى آخرين بِنَسَبٍ أو سَبَبٍ، وعلي هذا فهي تعني كلَّ ما يتناقله الخَلَفُ عن السَّلَفِ، فيخلفونهم فيه خلافةً جبريةً، سواء أكان هذا الموروثُ ماديًا، أم غير مادي كالعلم ونحوه .

أمّا في الاصطلاح العلمي فهي تعني هذه الثروةُ الكبيرةُ الثمينةُ الغاليةُ التي خلَّفَهَا لنا أسلافُنَا – رحمهم الله – في شتى مناحي العلوم الدينية في مؤلفاتهم، وكتبهم التي عُنِيَتْ بالعلم الشرعي؛ كالتفسيرِ والحديثِ وعلومِهمَا، والفقه والأصول، والسيرة النَّبَوِيَّة، وما يكون خادمًا لهذه العلوم الشريفة، وبخاصة ما لا يزال منها

---

(١) ينظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٠/٥٨، ٥٩ ط دار المأمون ١٩٣٨م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ٥/١٢٢ ط مكتبة القدسي ١٣٥١هـ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ٢/٣٦٤ ط أولى، مطبعة السعادة ١٣٢٦هـ .

(٢) وأصله: من ورث وُرَاث على وزن فُعَال بمعنى مَفْعُول، أي مَوْروث، أُبدلت واوه تاءً على غير قياس، كما فعلوا في: وُجَاه من واجهت، قالوا: تُجَاه، قال الفراء:" وقوله: تَاللَّهِ العربُ لا تَقُولُ تالرحمنِ ولا يَجْعلونَ مكانَ الواو تَاء إِلَّا فِي الله عَزَّ وَجَلَّ، وَذَلِكَ أَنَّها أكثرُ الأَيْمَانِ مُجْرى فِي الكلام فتوهّموا أنّ الواو منها لكثرتِها فِي الكلام، وأبدلوها تاء كما قالوا: التّراث، وهو من ورث، وكما قَالَ: (رُسُلَنا تَتْرا) وهي من المواترة [معانى القرآن تح/ محمد علي النجار وآخرون ٢/٥١ ط: أولي الدار المصرية للتأليف والترجمة).

في عالم المخطوطات، وتتجه العناية اليوم إلى نشره وإشاعته، أو تجديد ما سبق نشره منها [١].

رابعاً: المقصود بـ " الأصحاب " عند " السَّكَّاكِي":

الذي يطالع القسم الخاص بالبلاغة من كتاب "المفتاح" يلحظ أنَّ صاحبه يطلق هذا المصطلح، ويريد به "عبد القاهر الجرجاني(ت:٤٧١هـ)" "والزمخشري(ت:٥٣٨هـ)" و"الرَّازِي (ت:٦٠٦هـ)"، وإذا كانت الصحبة في اللغة تعني الملازمة، فمعناها هنا ملازمة الفكر لاستحالة الملازمة الذاتية لهؤلاء لوجود الفارق الزمنى بينه وبينهم؛ لتصريحه بأنهم من السلف[٢].

---

(١) ينظر: تحقيق التُّراث العربي منهجه وتطوره- د/ عبد المجيد دياب ص ١٢ ط: دار المعارف، تحقيق التُّراث: د/ عبد الهادي الفضلي- ص ٣٤، ٣٥ ط: مكتبة العام- جدة .

(٢) ينظر: مفتاح العلوم تح د/ عبد الحميد هنداوي ص٣٨ ط: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ٢٠٠٠م، هذا وقد ذكر الأستاذ الدكتور/ محمد أبو موسي الأدلة التي تؤكد أنَّ هؤلاء الثلاثة هم الذين عناهم " السَّكَّاكِي " بالأصحاب [يراجع: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٦٠٠ ط: الثانية مكتبة وهبة القاهرة٢٠٠٤م] .

توطئة

عندما ننظر في صنعة " السَّكَّاكِي " في التراث البلاغي للأصحاب في هذا الفن البديعي (التَّجْنِيْسِ) نجدها صادرة عن استيعاب تام لكلام هؤلاء الأصحاب، وإنْ كان تأثره الأكبر بالإمام الرَّازي، وذلك واضح من خلال انتقائه للمصطلح العام "التَّجْنِيْس"، فهذا الفنُّ دُرِسَ تحت عِدَّةِ مُسَمَّيات هي: التَّجْنِيْسُ والتَّجَانُسُ والمُجَانَسَةُ والجِنَاسُ، وكلها تدلُّ علي مُسَمَّي واحد؛ لأنَّ مادَتَها جميعًا الجيم والنون والسين، وهذه المادةُ اللغويةُ في مختلف تصرفاتها لا تخرجُ عن الدلالةِ علي انضمام الشيء إلي ما يُشَاكلُه ويتحدُ معه، ويميلُ إليه، ويقربُ منه(١).

وتجدرُ الإشارةُ إلي أنَّ أولَ مَنْ عَرَّفه باسم التَّجْنِيْس هو" عبدُ الله بنُ المعتز (ت:٢٩٦هـ)" في كتابه " البديع "، وغلب عليه هذا الاسم، وظل يُعْرَفُ به إلي يومنا هذا(٢).

فـ " السَّكَّاكِيُّ " أخذ مصطلح " التَّجْنِيْس " عن " الرَّازي " الذي تردد هذا المصطلح عنده خمس مرات، ويذكر " السَّكَّاكِيُّ " عشرَ صُوَرٍ مما يتأتى عليها التَّجْنِيْس بقسميه التام وغيره(٣)، ويتبع ذلك بما يُلْحق بالتَّجْنِيْس، ونراه ينصُّ علي المصطلح الخاص بكل صورة مع ذكر مفهومه، ويشفع ذلك بالمثال، ويبدأُ " السَّكَّاكِيُّ" صنعته في "التَّجْنِيْس" بذكر المصطلح العام له، وإذا كان " السَّكَّاكِيُّ " قد اعتمد علي "الرازي" في

---

(١) جنان الجناس للصفدي تح/ سمير حسين حلبي ص ٢٦ ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٢) العمدة لابن رشيق تح/ محمد محيي الدين ٣٣١/١ ط: خامسة دار الجبيل –بيروت ١٩٨١م، و ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان د/ محمد عبد المنعم خفاجي– ص ٥٧٧ – ط: دار العهد الجديد– مكتبة النجاح .

(٣) هي: التام / الناقص / المذيل / المضارع / اللاحق / التصحيف / المزدوج / المشوش / المتشابه / المفروق .

ذكر المصطلح العام فإنَّه زاد عليه في وضع مفهوم له وهو " تشابُه الكلمتين في اللفظِ "[١]، فـ" فالرَّازِي " لم يتعرَّض للمفهوم العام لـ "التَّجْنِيْس"، حيث إنَّه بعد ذكره المصطلح انتقل إلي أقسامه من حيث الإفراد والتركيب فقال: "المُتَجانسان إمَّا أنْ يكونا مُفْردين، أو أحدَهُما يكون مفردًا والآخر مركبًا، أو كلاهما مركبًا "[٢].

وتعريف " السَّكَّاكِي " لـ " التَّجْنيْسِ " غير جامع وغير مانع؛ أمَّا أنه غير جامع لأنَّه بصورته هذه لا يشمل التَّجْنيس غير التام، وأمَّا أنه غير مانع لأنَّه يدخل فيه التكرار، وأفضل تعريف للجناس هو ما ذكره " ابن سنان الخفاجي (ت:٤٦٦هـ)" بقوله: "هو أن يكون بعض الألفاظ مشتقًا من بعض إن كان معناهما واحدًا أو بمنزلة المشتق إن كان معناهما مختلفان أو تتوافق صيغتا اللفظتين مع اختلاف المعنى"[٣]، وتختلف بنية التَّجْنِيْسِ عن بنية التكرار؛ لأنَّ التَّجْنِيْسَ في تكراره للفظ ذاته لا يتكرر مدلوله، فهو يفقد ما في التكرار من تساوي المتجانسين لفظًا ودلالة .

---

(١) وهذا المفهوم جامع غير مانع؛ لأنَّه يدخل فيه التكرار وغيره .

(٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي- تح د/ نصر الله حاجي- ص٥٨- ط: أولي دار صادر- بيروت ٢٠٠٤م .

(٣) سر الفصاحة لابن سنان ص ١٩٣ ط: أولي دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٢م، وعرَّفه الصَّفدي (ت:٧٦٤هـ) بقوله: هو الإتيان بمتماثلين في الحروف، أو في بعضها، أو في الصورة، أو زيادة في أحدهما، أو بمتخالفين في الترتيب، أو الحركات، أو بمماثل يرادف معناه مماثلًا آخر نظمًا[جنان الجناس ص ٤٢] .

المبحث الأول

صَنْعَةَ " السَّكَّاكِي " فِي التَّجْنِيْس التام المفرد .

١- التَّجْنِيْسُ التام المُفْرد:

عرَض الإمامُ/ عبدُ القاهر (ت:٤٧١هـ) لـ "التَّجْنِيْسِ التَّام" أثناء حديثِه عن سِرِّ تأثير الجناس، وما فيه من خلابة، فقال:" واعلم أنَّ النُّكْتةَ التي ذكرتها في التَّجْنِيْسِ، وجعلتُها العّلةَ في استيجابه الفضيلة وهي حُسْنُ الإفادةِ، مع أنّ الصورةَ صورةُ التكرير والإعادة وإن كانت لا تظهر الظهورَ التامَّ الذي لا يمكن دَفْعُه، إلا في المستوفَى المتفق الصورة منه كقوله[١]:

مَا مَاتَ مِنَ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ يَحْيَى لَدَى يَحْيَى بنِ عَبْدِ اللهِ "[٢]

أو المرفُوّ الجاري هذا المَجْرَى كقوله:" أَوْ دَعَانِي أَمُتْ بِمَا أَوْدَعَانِي "، فقد يُتَصَوَّر في غير ذلك من أقسامه أيضًا، فمما يظهر ذاك فيه ما كان نحو قول أبي تمام[٣]:

يَمُدُّون من أيدٍ عَواصٍ عَواصِمٍ تَصُولُ بأسْيافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ

---

(١) البيت لأبي تمام- في ديوانه ص٣٤١ ط: دار الكتب العلمية، وينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ص٤٢ ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي، تحرير التحبير تح/حفني شرف ص١٠٤ ط:المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، نهاية الأرب ٢/ ٢٩٤ ط: أولي دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة ١٤٢٣هـ .

(٢) أسرار البلاغة تح / محمود محمد شاكر ص ١٢ ط: دار المدني، الوساطة ص ٤٤، الإيضاح تح د: خفاجي ٩٢/٤، يقول: ما ذهب عن أهل الوقت من كرم الزمان الماضي، فصار كالميت في عدم ظهوره، فإنه أي فإنَّ ذلك الميت من الكرم يحيا أي يظهر كالحي لدي – أي عند – يحيي بن عبد الله البرمكي، وهو من عظماء أهل الوزارة في الدولة العباسية ،فجانس بين " يَحْيَا " الأولي وهي فعل من الحياة، و" يَحْيَى " الثانية وهي اسم علم، وحروف كل واحد منهما مستوفاة في الآخر.[مواهب الفتاح–ضمن شروح التلخيص- ٤ / ٤١٧ ط:دار السرور] .

(٣) يمدح أبا دلف العجلي (المثل السائر تح/ محمد محيي الدين ٩٣/١ ط: المكتبة العصرية ـ بيروت) .

وقول البحتري[١]:

لئن صَدَفتْ عنَّا فرُبَّتَ أنفُس *** صَوادٍ إلى تِلك الوجُوه الصَّوادف[٢]"

" أما التجنيس فإنك لا تستحسن[٣] تجانُس اللفظتين إلا إذا كان وقع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا، ولم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمًى بعيدًا، أتراك استضعفتَ تجنيس أبي تمام في قوله:- [من الكامل]:

ذَهَبَت بمُذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ فَألْتَوت*** فِيهِ الظُّنُونُ: أَمَذْهَبٌ أم مُذْهَبُ

واستحسنتَ تجنيس القائل: " حتى نَجَا من خَوفِهِ وَمَا نَجا "، وقول المحدَثِ[٤]:[الخفيف]

نَاظِرَاهُ فِيْمَا جَنَى نَاظِرَاه أوْ دَعانِي أمُتْ بِمَا أَوْدَعَانِي

لأمرٍ يرجع إلى اللفظ؟ أم لأنك رأيتَ الفائدة ضَعُفَت عن الأوّل وقويتَ في الثاني؟ ورأيْتَك لم يزدك بمَذْهَب ومُذهَب على أن أَسْمَعَكَ حروفًا مكررةً، تروم فائدة فلا تجدُها إلا مجهولةً منكرةً، ورأيتَ الآخر قد أعَادَ عليك اللفظةَ كأنه يخدعُك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يَزِدْك وقد أحسن الزيادة ووفَّاها، فبهذه السريرة صار التجنيس- وخصوصًا المستوفَى منه المُتَّفَقَ في الصورة - من حُلَى الشّعر، ومذكورًا في أقسام البديع"[٥].

---

(١) نهاية الأرب ٢/٢٩٤، البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ تح/د: أحمد أحمد بدوي، د:حامد عبد المجيد ، ص ٤ ط: الإدارة العامة للثقافة –الجمهورية المتحدة .

(٢) أسرار البلاغة تح الشيخ شاكر ص ٧ .

(٣) جاء هذا في سياق حديث الإمام عن مرجع المزية في استحسان الكلام بين اللفظ والمعني .

(٤) البيت لطاهر البصري في نهاية الأرب ٧/٩٢ ونسبه الحصري لأبي الفتح البستي [زهر الآداب وثمر الألباب- ٢/٤٢٧ ط: دار الجيل- بيروت] .

(٥) أسرار البلاغة ص ٧،٨ .

كما تحدث عنه " الرَّازي (ت:٦٠٦هـ)" بقوله:" المُتَجانسان إمَّا أنْ يكونا مفردين، أو أحدهما يكون مفردًا والآخر مركبًا، أو كلاهما مركبًا، فإنْ كانا مفردين، فالمُجَانسةُ التَّامة إنما توجد إذا تساويا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها، كقوله[١]:

لِشُؤُوْنِ عَيْنِيَ فِي الْبُكَاءِ شُؤُوْنُ وَجُفُوْنُ عَيْنِكَ لِلْبَلَاءِ جُفُوْنُ[٢]

وقد أفاد " السَّكَّاكِيُّ " من كلام الإمام/ عبد القاهر السابق، كما أفاد من كلام "الرَّازي" أيضًا، وقد بدأ " السَّكَّاكِي" حديثه عن صور التَّجْنِيْس بالتام[٣] منه كما فعل "الرَّازِي"؛ لأنَّه "أكملُ أصنافِ التَّجْنِيْس، وأعلاها رتبةً في الترتيب الأصلي "[٤]، ويُعَرِّفُه بقوله " أنْ لا يتفاوت المتجانسان في اللفظ، كقولهم: رَحْبَةٌ رَحْبَةٌ "[٥] .

وهذا التعريف الذي ذكره " السَّكَّاكِي" لـ " التَّجْنِيْسِ التام" غير كامل؛ لأنَّه اقتصر علي عدم تفاوت المتجانسين في اللفظ[٦]، ولم يشترط الاختلاف في المعني[٧]،

---

(١) هو أبو جعفر الرامي محمد بن موسى بن عمران [الطراز للعلويّ ١٨٦/٢ ط: أولي المكتبة العنصرية – بيروت١٤٢٣هـ]

(٢) نهاية الإيجاز ص ٥٩ ، وَالشُّؤُوْنُ الْأُوْلَى: مَجَارِي الدَّمْعِ، والشُّؤُوْنُ الثَّانِيَةُ: جَمْعُ شَأْنٍ وَهُوَ الْحَالُ .

(٣) ويُسَمَّي بـ: الحقيقي، والمطلق، والكامل، والفصيح [ينظر: معيار النُّظَّار للزنجاني –ص ٧٣ ط: دار المعارف].

(٤) شرح الكافية البديعية صفي الدين الحلي تح/ نسيب نشاوي ص ٦٣ ط: دمشق ١٩٨٢م، و جنان الجناس ص٤٥ .

(٥) مفتاح العلوم تح د/ عبد الحميد هنداوي ص ٥٣٩ .

(٦) وكأنَّه أراد أنَّ التشابه، وعدم التفاوت لا يكون إلا في اللفظ .

(٧) فيخرج ما إذا اشتبها في المعني فقط نحو: الأسد والسبع ... أو في اللفظ والمعني كلفظ " أسد أسد " ينطق به مرتين [مواهب الفتاح لليعقوبي–ضمن شروح التلخيص– ٢١٢/٤، ٢١٣].

ولعله اعتمد في ذلك علي المثال الذي أتي به، وهو: رَحْبَةٌ رَحْبَةٌ "[١]، وهو غير كاف في تحديد المصطلحات العلمية، وكان لزامًا عليه النَّص علي وجوب الاختلاف في المعني، ولعل الذي أوقعه في ذلك هو أنَّه تناسي ضرورة الاختلاف في المعني حين عرَّف " التَّجْنِيْس " بوجه عام .

ولا شك أنَّ تعريف " الرَّازي " لـ " التَّجْنِيْسِ " التَّام أكثر دِقَّةً وتفصيلًا ووضوحًا من تعريف "السَّكَّاكِي" له، حيث إنَّ " الرَّازِي"[٢]، يذكر أنَّ " المجانسة التامة إنما توجد إذا تساويا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها "، هذا، وقد تفوَّق " الرَّازِي" حين مثَّل له من فصيح الكلام، بينما مثَّل " السَّكَّاكِي " بمثال مُصْطنع .

ونلحظ أنَّ " السَّكَّاكِي" عندما يتحدث عن أثر التجنيس التام في الكلام، نجده يقول في نهاية حديثه عن التجنيس بكل صوره " وأَصْلُ الحُسْنِ في جميع ذلك أنْ تكون الألفاظُ توابعَ للمعاني لا أنْ تكون المعاني لها توابع: أعْنِي أنْ لا تكون متكلفةً"[٣]، وهو في هذا يستقي من كلام الإمام/ عبد القاهر، الذي ذكر أنَّ الفائدة التي يحققها الجناس التام والمرفو تتحقق أيضا في غيره من الأقسام بوجه ما، وقد أشار إلي الجناس الناقص، وهو ما نقصت فيه حروف أحد اللفظين عن الآخر، مع اتفاق الباقي في النوع والهيئة والترتيب وبين سر تأثيره في النفس وحسن موقعه في العقل بقوله:" وذلك أنك تَتَوهم قبل أن يردَ عليك آخرُ الكلمة كالميم من عواصم والباء من قواضب، أنها هي التي مَضَت، وقد أرادتْ أن تجيئَك ثانيةً، وتعودَ إليكَ مؤكِّدَةً، حتى إذا تمكن في نفسك تمامُها، ووعى سمعُك آخرَها، انصرفتَ عن ظنّك الأول، وزُلْتَ عن الذي سبق من التخيُّل، وفي ذلك ما ذكرتُ لك من طلوع الفائدة بعد أنْ يخالطك

---

(١) فرحبةٌ الأولى: فناءُ الدارِ، ورحبةٌ الثانية: بمعنَى واسعةٌ .

(٢) الذي يري أنَّ المجانسة التامة إنما توجد إذا تساويا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها " .

(٣) مفتاح العلوم تح/ عبد الحميد هنداوي ص ٥٤٢ .

اليأس منها، وحصول الربح بعد أن تُغالَطَ فيه حتى ترى أنه رأس المال"[١]، كما أشار إلي الجناس المزيل بقوله:" فأما ما يقع التجانس فيه على العكس من هذا وذلك أن تختلف الكلمات من أوّلها كقول البحتري[٢]:

بِسِـــــيُوفٍ إِيْمَاضُـــــهَا أَوْجَـــــالُ لِلْأَعَـــــادِي وَوَقْعُهَـــــا آجَـــــالُ

وكذا قول المتأخر[٣]:

وَكَـــمْ سَـــبَقَتْ مِنْـــهُ إِلَـــيَّ عَـــوَارِفٌ ثَنَـــائِي مِـــنْ تِلْـــكَ العَـــوَارِفِ وَارِف

وَكَـــمْ غُـــرَرٍ مِـــنْ بِـــرّهِ وَلَطَـــائِفٍ لَشُـكْرِي عَلَـى تِلْـكَ اللَّطَـائِفِ طَـائِفُ

وذلك أنّ زيادة عوَارِف على وارف بحرف اختلاف من مبدأ الكلمة في الجملة، فإنه لا يبعد كلَّ البعد عن اعتراض طرفٍ من هذا التخيُّل فيه، وإن كان لا يقوى تلك القوةَ، كأنك ترى أن اللفظة أعيدت عليك مُبْدَلًا من بعض حروفها غيرُه أو محذوفًا منها، ويبقى في تتبّع هذا الموضع كلامٌ حقُّه غير هذا الفصل وذلك حيث يوضع"[٤].

ومما لا شك فيه أنَّ صنيع " السَّكَّاكِي" في " التجنيس " التام المفرد فتح الباب أمام مَنْ جاء بعده كـ" الخطيب " وغيره في التنبه والوقوف علي صور هذا النوع من حيث اتفاق المتجانسين، أو اختلافهما في الاسمية والفعلية والحرفية، وقسَّموه إلي: مماثل ومستوفي[٥] .

---

(١) أسرار البلاغة ص ١٨ .

(٢) ديوانه بتحقيق الصيرفي ص ٤٢ ط: دار صادر– بيروت .

(٣) البيتان لأَبي الْعَبَّاسِ الرُّوْمِيُّ (دُرَرُ الفَرائِدِ المُسْتَحْسَنَة في شرحِ مَنْظومةِ ابنِ الشِّحْنةِ (في علوم المعاني والبيان والبديع) لابن عَبْدِ الحَقّ العُمَرِيّ الطَّرَابُلُسِيّ تح: سُلَيمان حُسَين ص٣٩١ ط: أولي دار ابن حزم– بيروت – لبنان١٤٣٩هـ .

(٤) أسرار البلاغة ص ١٨ .

(٥) يراجع: الإيضاح٢١٦، شروح التلخيص ٤/ ٤١٥ وما بعدها، المطول ص ٤٤٥ .

المبحث الثاني

صَنْعَة " السَّكَّاكِي " فِي التَّجْنِيْس غير التَّام

بعـدما أورد " السَّـكَّاكِي"" التَّجْنِـيْسَ التَّـام المُفْرد" الـذي تتفـق فيـه اللفظتـان فـي الصورة انتقل إلـي صور من " التَّجْنِيْسِ" تتخالفُ فيـه الألفاظ المتجانسـة فـي أشكال عِدَّة، وهو مـا عُرِفَ فيما بعد بـ" التَّجْنِيْس غير التَّام " أطلق علـي كُلِّ صورة منها مُصْطَلَحًا مُحَدَّدًا يتفق مع طبيعة المخالفة، ومن ذلك:

١- التَّجْنِيْسُ النَّاقِصُ:

ويُسَمِّيه بعض البلاغيين " المُشَبَّه بالتَّجْنِيْس "، وغير التام، والتَّجْنِيس المجازي[١]، والنَّاقِصُ في مقابلة التام والكامل، أو الزائد، والنَّاقِصُ: اسم فاعل من الفعل نَقَصَ، يُقال: نقص يَنْقُصُ نقصًا ونُقْصَانًا فهو نَاقِصٌ ومَنْقُوصٌ، وقد أخذ " السَّكَّاكِي" "مصطلح" التَّجْنِيْس النَّاقِص" عن الإمام " الرَّازِي "، وهو متأثر فيه – أيضًا – بالإمام عبد القاهر في تعليقه علي بيت أبي تمام:

يَمُـدُّونَ مِـنْ أَيْـدٍ عَـواصٍ عَواصِـمٍ تَصُـولُ بأسْـيافٍ قَـوَاضٍ قَواضِـبِ

يقول " الإمام / عبد القاهر:" ذلك أنك تَتَوهم قبل أن يردَ عليك آخرُ الكلمة كالميم من عواصم والباء من قواضب، أنها هي التي مَضَت، وقد أرادتْ أن تجيئَك ثانيةً، وتعودَ إليكَ مؤكِّدَةً، حتى إذا تمكن في نفسك تمامُها، ووعى سمعُك آخرَها، انصرفتَ عن ظنّك الأول، وزُلْتَ عن الذي سبق من التخيُّل، وفي ذلك ما ذكرتُ لك من طلوع الفائدة بعد أنْ يخالطك اليأس منها، وحصول الربح بعد أن تُغالَطَ فيه حتى ترى أنه رأس

---

(١) يراجـع: الطـراز ٥٦٢، الفوائـد المُشَـوِّق ص ٢٦٤ ط: مكتبـة المتنبـي– القـاهرة، المثـل السـائر ٢٤٩/١ .

المال"[١].

فحديث الإمام هنا تضمَّنَ المصطلح ومفهومه، وكشف بصورة صريحة عن القيمة البلاغية لهذا النوع من التجنيس، ومما يلاحظ أنَّ "السَّكَّاكِي" أتي بـ " التَّجْنِيْس النَّاقِص " عقب الحديث عن " التَّجْنِيْس التَّام "، وذلك لأنَّه في مقابلته، و"السَّكَّاكِي" متأثر في ذلك بـ " الرَّازِي ".

وأمَّا عن صنعة "السَّكَّاكِي" في مفهوم " التَّجْنِيْس النَّاقِص " فقد عرَّفه بأنَّه " أن يختلفا – أي المتجانسين – في الهيئة دون الصورة "[٢]، وهو في هذا المفهوم متأثرٌ بـ " الرازي " الذي عرَّفه بقوله: " إذا كان الاختلافُ واقعًا في هيئتها فقط، فهو المُسَمَّى بـ التَّجْنِيْس النّاقِص"[٣].

وحين ننظر إلي هذا المفهوم موازنة بما ذكره البلاغيون واستقروا عليه نجد أنَّ هذا المفهومَ يتفقُ مع جمهور البلاغيين من جهة، ويخالفهم من جهة أخري، فهو يوافقهم في وجود اختلاف بين اللفظين المتجانسين، ويخالفهم في نوع هذا الاختلاف، فإذا كان جمهور البلاغيين قد ذكروا أنَّ " التَّجْنِيْسَ النَّاقِصَ " هو ما نقصت فيه حروف أحد اللفظين المتجانسين حرفًا أو حرفين عن الآخر[٤]، وسُمِّي ناقصًا لنقصان أحد اللفظين المتجانسين عن الآخر في الحروف الموجودة فيه، فإنَّ هذا المفهومَ لا يتماشى مع طبيعة الاختلاف الذي ذكره "السَّكَّاكِي" و"الرازي" من قبل؛ لأنَّ كلًّا منهما بني كلامه في تحديد مفهوم " التجنيس الناقص " علي اختلاف اللفظين المتجانسين في الهيئة فقط مع اتفاقهما في نوع الحروف وأعدادها وترتيبها، سواء وقع هذا

---

(١) كتاب أسرار البلاغة تح / محمود محمد شاكر ص ١٨ .

(٢) مفتاح العلوم تح د/ عبد الحميد هنداوي ص ٥٣٩ .

(٣) نهاية الإيجاز ص٥٩ .

(٤) ينظر: شروح التلخيص ٤ / ٤٢٢، المطوَّل ص ٤٤٧ .

الاختلاف بين حركة وحركة، أو بين حركة وسكون، أو بين حرفين أحدهما مشدَّد والآخر مُخفف .

وقد ذكر البلاغيون أنَّه إذا وقع الاختلاف بين اللفظين المتجانسين في هيآت الحروف عُرِفَ هذا بـ" التَّجْنِيْس المُحَرَّف"؛ لانحراف هيئة أحد اللفظين عن هيئة الآخر(١)، وعلي هذا فـ "السَّكَّاكِي" جاري "الرازي" في إطلاق مصطلح " التَّجْنِيْس الناقص " علي ما عُرف عند البلاغيين بـ " التَّجْنِيْس المُحَرَّف".

ومما يلاحظ أنَّ "السَّكَّاكِي" وإنْ كان قد اعتمد علي الرازي في مفهوم " التَّجْنِيْس النَّاقِص " إلا أنَّه لم يتعرض بالتفصيل لصور الاختلاف الواقع في الهيئة كما فعل الرازي بقوله: " ولا يخلو إمَّا أنْ يكون الاختلافُ في هيئة الحركة، كقولهم: "جُبَّةُ البُرْدِ جُنَّةُ البَرْدِ"(٢) والمقصودُ هو البُرْدُ والبَرْدُ(٣)، أو في الحركةِ والسكون، كقولهم: "البِدْعَةُ شَرَكُ الشِّرْكِ"(٤)، أو في التخفيف والتشديد، كقولهم:" الجَاهِلُ إِمَّا مُفْرِطٌ أو مُفَرِّطٌ "(٥)، والذي يبدو أنَّ " السَّكَّاكِي" اعتمد في ذلك علي الأمثلة فقال:" وهو أنْ يختلفا في

---

(١) ينظر: الإيضاح ص٢١٨، شروح التلخيص ٤٢٠/٤، تحرير التحبير ص١٠٦، خزانة الأدب لابن حُجة الحموي ٨٧/١ ط: أولي دار ومكتبة الهلال – بيروت١٩٨٧م، نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٩٤/٢، مختصر السَّعْد ٢٧٣ .

(٢) فبين البُرْدِ والبَرْدِ جناسٌ ناقص عند " السَّكَّاكِي " و " الرازي " وتجنيس مُحَرَّف عند جمهور البلاغيين، "والْبُرْد": كِسَاء مُخَطَّط يُلْتحف به، و"الْبَرْد": انخفاض درجة الحرارة، وحروف الكلمتين متفقة في نوعها وعددها وترتيبها، لكنّها مختلفة في هيئتها، فالباء مضمومة في الأولى مفتوحة في الثانية مع سكون الراء، ومفتوحة في الثالثة مع فتح الراء.

(٣) وأمَّا ما بين الجُبَّةِ والجَنَّةِ فمن التجنيس اللاحق لا المُحَرَّف .

(٤) الشَّرَكُ: الحَبْلُ الذي يضعه الصَّيَّادُ ويُخْفيه ليصيد به ما يترصّد من حيوان الوحش، والشِّرْكُ: أنْ تجعلَ لله شريكًا .

(٥) نهاية الإيجاز ص ٥٩، ومُفْرِطٌ: من الإفراط وهو تجاوز الحد، ومُفَرِّطٌ: من التفريط وهو التقصير فيما لا ينبغي التقصير فيه، واختلاف الهيئة بين " مُفْرِط " و " مُفَرِّط " باعتبار أنَّ الفاء في الأول ساكن، وفي الآخر مفتوح .

الهيئةِ دون الصورة، كقولك: البُرْدُ يمنعُ البَرْدَ، وكقولك: البِدْعَةُ شَرَكُ الشِّرْكِ، وكقولك: الجهول إما مُفْرِطٌ أو مُفَرِّطٌ . والمُشَدَّدُ في هذا الباب يقام مقام المُخَفَّفُ نظرًا إلى الصورةِ، فاعلم "[1]،" وإنَّمَا نَصَّ علي هذا لئلا يُتوهم أنَّه من النَّاقِصِ بناءً علي أنَّ الحرفَ المُشَدَّدَ فيه حرفان، فَبَيَّنَ أنَّه من الاختلاف في الهيئة مع اتحاد موضع الاختلاف؛ لأنَّ الحرْفَ المُشدد في حكم الواحد من هذا الباب لوجهين:

أحدهما: أنَّ اللسانَ يرتفعُ عند النُّطْقِ عن الحرفين دفعةً واحدةً كالحرف الواحد وإنْ كان في الحرفين ثقلٌ مَا إلَّا أنَّه لم يُعتبر لقُربِ أمره .

والآخر: أنَّهما في الكتابة شيءٌ واحدٌ، وأمارةُ التشديدِ منفصلةٌ فجعلا كالحرف الواحد، فلهذا جُعِلَ من التجنيس الذي لم يقع الاختلافُ فيه إلا في الهيئةِ لا في العدد[2].

٢- التَّجْنِيْسُ المُذَيَّل[3]:

الذَّيْلُ في اللغة آخر كل شيء[4]، والتجنيس المُذَيَّلُ عند البلاغيين هو أنْ يختلفَ اللفظان المتجانسان بزيادة أكثر من حرف، وسُمِّي مُذَيَّلًا لأنَّ الزيادةَ كانت في آخره، وهذه التسمية ... تدلُّ علي عدم وجدان زيادة أكثر أولًا، أو وسطًا، أو علي قلة الوجدان[5].

---

(١) مفتاح العلوم تح / عبد الحميد هنداوي ص ٥٣٩ .

(٢) مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي " ضمن شروح التلخيص" ٤/٤٢٠، وينظر: المطوَّل ص ٤٤٧ .

(٣) بضم الميم، وفتح الذال، وفتح الياء وتشديدها، والمُذَيَّلُ: الطويلُ الذيلِ، والمُذَيَّلُ: الطويل المهدب، وابن أبي الأصبع يُسَمِّيه:" تجنيس التَّرجيع "[ينظر: تحرير التحبير١٠٧] .

(٤) تاج العروس للزبيدي ٢٩/٢٠ "ذيل"، ط: دار الهداية، لسان العرب ١١/٢٦٠ "ذيل"، ط: دار صادر – بيروت .

(٥) مواهب الفتاح "ضمن شروح التلخيص" ٤ / ٤٢٥، وينظر: معاهد التنصيص علي شواهد التلخيص للعباسي، تح/ محمد محيي الدين عبدالحميد ١/٣٢٨، ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت .

ومصطلح "المُذَيَّل" أخذه "السَّكَّاكِي" من "الرَّازي"، ففي "نهاية الإيجاز": "وأما إذا كان الاختلاف واقعًا في أعدادها فقط، فذلك أن يوجد في إحدى الكلمتين حرف لا يوجد في الثانية، وكل ما وجد في الثانية فهو موجود علي استقامته في الأولي، وهو المسمى بـ "المُذَيَّل"[١]، وقال "السَّكَّاكِي": " التَّجْنِيْسُ المُذَيَّلُ: وهو أنْ يختلفا بزيادة حرف"[٢]، فـ "السَّكَّاكِي" أخذ المصطلح من "الرازي"، وفي تحديد مفهوم هذا اللون من التَّجْنِيْس نري "السَّكَّاكِي" يعتمد – أيضًا – علي "الرَّازي" لكننا نلحظُ أنَّ صنعةَ "السَّكَّاكِي" تتميزُ بالإيجاز، وقد ساعده في ذلك اعتماده علي ما أطال فيه " الرَّازِي " علي الأمثلة .

وبينما نجد " الرَّازِي " يُفصِّلُ صور هذا اللون بقوله " وذلك إِمَّا أنْ يقعَ في أول الكلمة، كقوله تعالي: ﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَومَئِذٍ ٱلمَسَاقُ ﴾[٣]، أو في وسطها، كـ "الكمد" و "الكدّ" و "الرّمد" و "الرّدّ"، أو في آخرها، كقول أبي تمام:

يَمُـدُّونَ مِـنْ أَيْـدٍ عَـوَاصٍ عَوَاصِـمٍ تَصُـولُ بِأَسْـيَافٍ قَـوَاضٍ قَوَاضِـبِ[٤]

---

(١) نهاية الإيجاز ص ٥٩ .

(٢) مفتاح العلوم تح / عبد الحميد هنداوي ص ٥٣٩ .

(٣) سورة القيامة الآيتان ٢٩، ٣٠، والتجنيس واقع بين " السَّاق " و " المساق "، حيث إنَّ لفظ " المساق " فيه ميم زائدة في الأول عن لفظ " الساق "، والتفاف الساق بالساق عُنِي به: التفاف السَّاقين عند خروج الروح، وقيل: التفافهما عندما يُلفَّان في الكفن، وقيل: هو أن يموت فلا تحملانه بعد أن كانتا تقلّانه. [المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تح/محمد سيد كيلاني ص٢٤٩ ط: دار المعرفة – لبنان] .

(٤) نهاية الإيجاز ص ٦٠، وعواص: جمع عاصية، من عصاه إذا ضربه بالعصا، والمراد به هنا السيف، أو من العصيان بمعني: عواص علي الأعداء، وعواصم: جمع عاصمة من عَصَمَهُ إذا حفظه وحماه، والمراد: حافظات للأصدقاء، وقواض: قاتلات، جمع قاضية من قضي عليه أي قتله، وقواضب: جمع قاضبة من قضبه أي قطعه، والمعني: هؤلاء الفرسان يمدون للضرب يوم الحرب أيديًا ضاريات للأعداء حاميات للأولياء، صائلات علي الأقران بسيوف حاكمة بالقتل قاطعة.[يراجع: شروح التلخيص ٤/٤٢٣، المطول ٤٤٨، جنان الجناس ص ٦٢].

نجد " السَّكَّاكِي " يُجمل ذلك كله بقوله:" كقولك: مَالِي كَمَالِي[1]، وجَدِّي جَهْدِي[2]، وكَاس كَاسِب "[3].

ومما يلاحظ أنَّ " السَّكَّاكِي " جاري " الرَّازِي" في أنَّ أقسام هذا اللون ثلاثة، وذلك لأنَّ الحرفَ الزائدَ إمَّا أنْ يقعَ في أوَّلِ الكلمة، أو في وسطها، أو في آخرها، وذلك علي أنَّ الزيادة تكون بحرف واحد فقط، بينما نجد من جاء بعده من البلاغيين جعل الزيادة ما كانت بحرف أو حرفين ومن هؤلاء "الخطيب (ت:٧٣٩هـ)" بعد أنْ قال:" وإن اختلفا في أعداد الحروف فقط سُمِّي نَاقِصًا " ذكر أنَّ ذلك يكون على وجهين "أحدهما: أنْ يختلفا بزيادة حرف واحد في الأول... أو في الوسط ... أو في الآخر... الوجه الثاني: أنْ يختلفا بزيادة أكثر من حرف واحد كقول الخنساء:

إِنَّ البُكَـــــاءَ هُـــــوَ الشِّـــــفَاءُ مِـــن الجَـــوَى بَـــيْنَ الجَـــوَانِحِ "[4]

---

(١) فالأولي من المال وهو الثروة، والثانية من الكمال وهو الشَّرَف، وزادت الثانية عن الأولي حرفًا في أولها وهو الكاف.

(٢) بفتح الجيم فيهما، والجَدُّ: الحَظُّ والنَّصيبُ والغِنَي، والجَهْدُ: التعب والمشقَّةُ، وقولهم: جَدِّي جَهْدِي يحتمل معناه وجهين الأول: أنَّ حَظِّي من الدُّنيا مجرد إتعاب النفس في المكاسب من غير وصول إليها، ويكون تَشَكِّيًا وإخبارًا بأنَّه لا يحصل من سعيه علي طائل، الآخر: إنَّ حَظِّي من الدُّنْيَا وغناي فيها هو بمشقتي وتعبي لا بالوراثة، ويكون إخبارًا بالنجابة في السعي، وأنَّه لا يتوقف في تحصيل الغِنَي علي وراثة.[ينظر: شروح التلخيص ٤ / ٤٢٢].

(٣) مفتاح العلوم ص ٥٣٩ .

(٤) المعني: إنَّ البكاء هو الشفاء من الحُرقة الكائنة بين الجوانح أي الضلوع التي تحت الترائب مما يلي الصدر، والتجنيس واقع بين "الجوي" بمعني حرقة القلب و"الجوانح" وهي الضلوع، وواضح أنَّ لفظ " الجوانح " زاد حرفين في آخره عن "الجوي".

ثم قال: " وربما سُمِّي هذا الضربُ مُذَيَّلًا "[١] .

وقال "ابن حُجَّة الحموي (ت:٨٣٧هـ)": " قد تأتي الزيادة في آخر المُذَيَّلِ بحرفين كقول حسان بن ثابت[٢]:

وَكُنَّا مَتَى تَغْزُو النَّبِيَ قَبِيْلَةٌ نَصِلْ جَانِبَيْهِ بِالْقَنَا وَالقَنَابِلِ[٣].

ومنه قول النابغة:

لَهَا نَارُ جِنٍّ بعْدَ إنسٍ تَحَوّلُوا وَزَالَ بِهِمْ صَرْفُ النَّوَى والنَّوَائِب

ومنه في رثاء قوله:

فَيَا لَكَ مِنْ حَزْمٍ وَعَزْمٍ طَوَاهُمَا جَدِيْدُ الرَّدَى تَحْتَ الصَّفَا والصَّفَائِحِ[٤]

والواقعُ يشيرُ إلي أنَّ الزيادةَ قد تكون بأكثر من حرف، وقال "سعدُ الدِّين التفتازاني (ت:٧٩١هـ)"- معلقًا وشارحًا كلام "الخطيب": " هو ستة أقسام؛ لأنَّ الزائد إمَّا حرف أو أكثر، وعلي التقديرين فهو إمَّا في الأول، أو في الوسط، أو في الآخر"[٥]، ثم قال: "ولم يذكر منه إلا قسمًا واحدًا وهو ما يكون الزيادة في الآخر كقولها أي الخنساء.. ...." وختم كلامه في هذا بقوله: " وربما سُمِّي هذا الذي يكون بأكثر من حرف واحد

---

(١) الإيضاح ٢١٩، قال " بهاء الدين السُّبكي (ت: ٧٧٣هـ)":" وتسمية هذا مُذَيَّلًا أظهر في المثال المذكور، وهو ما إذا كان في الأول نقص عن الثاني بحرفين، فإنَّه وقع تذييل الثاني منه بخلاف ما إذا قيل: الجوانح – الجوي "[عروس الأفراح " ضمن شروح التلخيص " ٤/٤٢٥].

(٢) ديوانه بتحقيق / عبده مهنا ص ١٦٧ ط دار صادر – بيروت .

(٣) القنا: جمع قناة وهي الرمح، والقنابل: جمع قنبلة، والقنبلة والقُنْبُل: الطائفة من النَّاس ومن الخيل، وقد زاد لفظ "القنابل" حرفين في آخره عن لفظ "القنا" .

(٤) خزانة الأدب وغاية الأرب ١/٧١ .

(٥) المطوَّل ص ٤٤٧ .

مُذَيَّلًا "[1].

٣- التجنيس المُضَارَع " المُطَرَّف ":

المُضَارَعَةُ في اللغة: المشابهة والمقاربة، يقال: ضَارَع الشَّيءُ الشَّيءَ أي شابهه كأنه مثله، وتَضَارَعَا: تَشَابَهَا، وضارَعَهُ مُضارَعَةً: شابهَهُ كأَنَّه مثلُه أَو شِبهُه[2]، قال الرَّاغِبُ: والمُضارَعَةُ: أَصلُها التَّشارُكُ في الضَّرَاعَةِ ثمَّ جرَّدَه للمُشارَكَةْ، ومنه استعار النّحويّون لفظَ الفِعْلِ المُضَارِعِ[3]، وسُمِّي الضّرع ضرعًا لأنَّه يشابه أخاه في الصورة، فلمَّا تشابها في هذا الحرف لُقِّب بالمُضَارع[4]، وهذه التسمية " المُضارعة " من وضع " قدامة بن جعفر (ت:٣٣٧هـ)"[5]، وسُمِّي مُضَارعًا لمضارعة المباين في اللفظين

---

(١) المطوَّل ص ٤٤٨ هذا، وقد تكون الزيادة بأكثر من حرفين، ومنه قوله تعالي ﴿ وإذا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فيها﴾ سورة الإسراء من الآية ١٦، قُرِي" أَمَرْنا" خفيفة، والمعني: أمَرنا مُترفِيها بالطّاعة فعصوا أي خالفوا إلى الفِسْق، ورُوِيَ عن أبي عَمْرٍو" أَمَّرْنَا " بالتَّشْدِيد، والمعني: كَثَّرْنَا مُترَفِيها، ومنه قوله ﷺ:" خَيْرُ المَالِ سِكَّةٌ مأْبُورَةٌ أو مُهْرَةٌ مَأْمُورةٌ " أي مُكَثِّرةٌ .

(٢) وفي حديثِ مُعاوية: لستُ بنُكَحَة طُلَقَةٍ ولا بسُبَبَةٍ ضُرَعةٍ، أي لستُ بشَتّامٍ للرِّجالِ المُشابِه لهم والمُساوي.. والنَّحْوِيُّون يقولون للفِعلِ المُستَقبَل: مُضارِع؛ لمُشاكَلَتِه الأسماءَ فيما يَلْحَقُه من الإعراب [تاج العروس، لسان العرب "ضرع"].

(٣) المفردات في غريب القُرآن ص ٥٠٦ .

(٤) كتاب الطراز للعلوي ٢٦٧/٢ .

(٥) قال " ابن سنان الخفاجي (ت:٤٦٦هـ)":" وقد سمى قدامة بن جعفر هذا الفن من المجانس .. .. المضارعة إذا كانت إحدى اللفظتين تماثل الأخرى بأكثر الحروف ولا تشابهها في الجميع، ومثل ذلك بقول نوفل بن مساحق للوليد وقد اعتد عليه بالأذن له على نفسه وهو يلعب بالحمام، وقال: خصصتك بهذه المنزلة فقال له نوفل: ما خصصتني ولكن خسستني. (سر الفصاحة ص ١٩٨) .

لصاحبه في المخرج[١].

وعن صنعة "السَّكَّاكِي" في هذا المصطلح نجد أنَّه أخذ مصطلح "المُضَارَع" من "الرازي"، فقد قال "الرازي":" وأما إذا كان الاختلاف واقعًا في أنواعها فقط، فيشترط أن لا يقع الاختلاف بأكثر من حرف واحد، ثم إن الحرفين اللذين وقع الاختلاف فيهما، إما أن يكونا متقاربين أو لا يكونا متقاربين، فالأول يُسَمَّى بـ المُضَارَع و المُطَرَّف"[٢].

لكننا نجد "الرَّازي" يشترط في الاختلاف الواقع في أنواع الحروف أنْ لا يقع الاختلاف بأكثر من حرف واحد؛ لأنَّه إنْ وقع الاختلاف " بأكثر من حرف كاثنين فأكثر لم يكن من التَّجْنِيْس في شيء؛ لبعد ما بينهما عن التشابه الجناسي، وذلك ظاهر إذْ لولا ذلك لم يخل غالب الألفاظ من الجناس، ويلزم أنْ يقدرَ عليه كلُ أحد؛ لأنَّ التشابهَ في حرفٍ واحدٍ مع الاختلاف في اثنين فأكثر كثير، وذلك مثل: نَصَرَ ونَكَلَ، ومثل: ضَرَبَ وفَرَقَ، ومثل: ضَرَبَ وسَلَبَ، فالأولان اشتركا في الأول فقط، والثانيان اشتركا في الوسط، والثالثان اشتركا في الآخر، وليس شيء من ذلك من التجنيس"[٣].

وهذا الذي شرطه " الرَّازِي " شرطه أيضًا " الخَطِيْبُ (ت:٧٣٩هـ)" حيث قال: " وإنْ اختلفا في أنواع الحروف اشترط أنْ لا يقع الاختلاف بأكثر من حرف "[٤]، فإنْ كان بأكثر خرج عن كونه جناسًا[٥]، لكننا نجد " السَّكَّاكِي " يقول:" أن يختلفا بحرف أو حرفين.."، وواضح من المثال الذي مثَّل به للاختلاف الواقع بحرفين أنهما من نوع

---

(١) مواهب الفتاح – ضمن شروح التلخيص – ٤/٤٢٥، ٤٢٦ .

(٢) نهاية الإيجاز ص ٦٠ .

(٣) مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي – ضمن شروح التلخيص – ٤/٤٢٥ .

(٤) الإيضاح٢١٩، شروح التلخيص ٤/٤٢٥ .

(٥) عروس الأفراح – ضمن شروح التلخيص – ٤/٤٢٥ .

واحد " مَا خَصَصْتَنِي وَإِنَّمَا خَسَسْتَنِي"، وهذا يعني أنَّ الحرفين الواقع بهما الاختلاف إذا كانا من نوع واحد فهما بمثابة الحرف الواحد وإنْ لم ينُّصّ علي ذلك، بدليل قوله: "كقولك في الحرف الواحد... ".

ويلاحظ تأثر " السَّكَّاكِي " في بيانه لمفهوم هذا اللون من التَّجْنيس بالإمام الرَّازِي، كما يلاحظ أنَّ " السَّكَّاكِي" اعتمد في بيان صور هذا النوع علي الأمثلة بخلاف "الرَّازي" الذي فصلها بقوله: "وذلك: إما في أول الكلمة، كقولهم: " بَيْنِي وبَيْنَه لَيْلٌ دَامِسٌ وطَرِيْقٌ طَامِسٌ"(١) أو في وسطها كقولهم:" مَا خَصّصْتَنِي؛ ولَكِنْ خَسّسْتَنِي"(٢) ، أو في آخرها كقوله ﷺ:" الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ "(٣)، بينما نجد "السَّكَّاكِي"

---

(١) هذا من كلام " الحريري " وهو نثر، وأصل المثال: بيني وبين كِنِّي ليل دامس وطريق طامس، والكِنُّ: البيت أو المنزل، والدَّامِسُ: الشديد الظلمة، والطَّامسُ: المطموس العلامات الذي لا يتبين فيه أثر يهتدي به، وقد اختلف اللفظان (دامس – طامس) بالدال والطاء وهما متقاربان في المخرج؛ لأنهما من اللسان مع أصل الأسنان.[شروح التلخيص ٤/٤٢٦].

(٢) كان الوليدُ بنُ عبد الملك يلعبُ بالحمام؛ فخلا لذلك يومًا، واستُؤذِنَ لنوفل بن مساحق، فأذن له، فلما دخل قال: خَصَصْتُكَ بالإِذْنِ دُوْنَ النَّاسِ، فَقَالَ: مَا خَصَصْتَنِي وَلَكِنْ خَسَسْتَنِي.[يراجع: نثر الدُّر للآبي تح/ خالد عبد الغني محفوظ– ص١٢٨ ط: أولي دار الكتب العلمية – بيروت٢٠٠٤م، سر الفصاحة ص ٦٨، معيار النُّظَّار للزنجاني ص ٧٨، جنان الجِناس ص ٦٥] والتجنيس بين " خَصَصْتَنِي و خَسَسْتَنِي" فالأولي بمعني أفرده وميَّزه بالإذن عن غيره، والأخرى بمعني أنقص مقداره وحقه، وقد اختلفت الكلمتان بحرفي الصاد والسين وهما متحدان في المخرج؛ لأنَّهما من الأصوات الأسلية أي التي تخرج من أسلة – طرف – اللسان .

(٣) نهاية الإيجاز ص٦٠ ، والحديث : " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " صحيح البخاري– حديث رقم ٢٨٤٩ باب: الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ. والتجنيس بين لفظي: الخيل والخير، وقد اختلفا في اللام والراء، وهما من مخرجين متقاربين، إذ هما يخرجان من الحنك واللسان .

يُجْمِلُ هذه الصُّور بقوله:(كقولك في الحرف الواحد: دَامِس وطامس، و حصب وحسب، و كثب وكثم، وفي الحرفين كقولهم: مَا خَصَصْتَنِي وَإِنَّمَا خَسَسْتَنِي)[١].

كما يلاحظ في صنعة "السَّكَّاكِي" أنَّه يقتصر في الأمثلة علي موطن الشاهد، وذلك بذكر الكلمتين الواقع بينهما التجنيس.

٤- التَّجْنِيْسُ اللاحِقُ:

واللاحِقُ: اسمُ فاعل من الفعل " لَحِقَ "، وهو يأتي لازمًا ومتعديًّا، يقال: لحق به كسَمِعَ، ولَحِقَهُ لحقًا ولحاقًا، بفتحهما: أدركه، أَلْحَقَهُ[٢]، والإلحاق جعل مثال على مثال أزيد منه بزيادة حرف، أو أكثر موازنا له في عدد الحروف وفي الحركات والسكنات، والمُلْحَقُ يجب أنْ يكون فيه ما يزيد للإلحاق دون الملحق به[٣]، واللَّحَقُ: كلُّ شَيءٍ لحق شيئًا أو أُلحِقَ به... واللَّحقُ أيضًا من الناس كذلك، يلحقون بقوم بعد مضيهم[٤]، وتَلاحَقَ القوم لَحِق بعضهم بعضًا، واللاحق من العلماء هو الذي ينقل عن السابق.

والتَّجْنِيْسُ اللاحق: هو أنْ يختلف اللفظان المتجانسان في حرفين متباعدين في المخرج[٥]، وسُمِّي باللاحق لأنَّ أحدَ اللفظين مُلحقٌ بالآخر في الجِناس باعتبار جُلِّ الحروف[٦].

---

(١) مفتاح العلوم تح/ هنداوي ص ٥٤٠ .

(٢) وَفِي آخِرِ الْقُنُوتِ { إنَّ عَذَابَكَ بِالْكُفَّارِ مُلْحِقٌ } بِكَسْرِ الْحَاءِ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ وَهُوَ بِمَعْنَى اللَّاحِقِ والفتح أحسن، أو الصواب . (القاموس المحيط ٥ / ٥٧ "لحق").

(٣) الكليات لأبي البقاء تح/ عدنان درويش ٢٤٠/٣ ط: مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٩٨م ..

(٤) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة ١/ ٤١٢ " ل ح ق ".

(٥) شروح التلخيص ٤ / ٤٢٦ .

(٦) مواهب الفتاح ٤٢٦/٤ " شروح التلخيص " .

ومصطلح " التَّجْنِيْس اللاحق " الذي ذكره "السَّكَّاكِي" بقوله " التجنيس اللاحق: وهو أن يختلفا لا مع التقارب "[١] أخذه من "الرازي" هو ومفهومه فقد قال " الرَّازِي" : " أمَّا إذا كان الاختلافُ بحرفين غيرِ متقاربين، فيسمى بـ " التجنيس اللّاحق"[٢]، ويبدو الإيجاز واضحًا في صنعة "السَّكَّاكِي" في تحديد المفهوم، كما يبدو الإيجاز أكثر وضوحًا في بيان "السَّكَّاكِي" لصور هذا النوع من التجنيس، وفيه يعتمد أيضًا علي "الرَّازِي"، حيث نجد "السَّكَّاكِي" بعد ذكره المصطلح ومفهومه يتبعه بذكر أمثلة تشمل صورَه، وذلك في قوله "كقولك: سعيد بعيد، وكاتب كاذب، وعابد عابث"[٣]، وذلك بخلاف " الرَّازِي" الذي فصَّل صور هذا النوع علي غرار ما جاء في صور" التَّجْنِيس المُضَارَع " وذلك بقوله:" وهو أيضًا: إمَّا أنْ يقعَ في آخر الكلمة، كقوله تعالي:﴿وَإِذَا جَآءَهُم أَمر مِّنَ ٱلأَمنِ أَوِ ٱلخَوفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾[٤]، أو في وسطها ، كقوله تعالي:﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيد وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلخَيرِ لَشَدِيدٌ﴾[٥]، أو في أولها، كقول الحريري:" لا أُعْطي أُعْطي زمامي من يُخْفرُ ذِمامي، ولا أغرِسُ الأيادي، في أرضِ الأعادي"[٦]، فهذا كلُّه

---

(١) مفتاح العلوم تح / هنداوي ص ٥٤٠ .

(٢) نهاية الإيجاز ص٦٠ .

(٣) مفتاح العلوم تح / هنداوي ص ٥٤٠، وبالتأمل نجد الحرفين المختلفين في المخرج في كلمتي " سعيد وبعيد " وقعا في أول الكلمتين، بينما وقعا في كلمتي " كاتب وكاذب " في الوسط، ووقعا في كلمتي " عابد وعابث " في الآخر .

(٤) سورة النساء من الآية ٨٣ .

(٥) سورة العاديات الآيتان ٧، ٨ .

(٦) ينظر: جنان الجناس ص ١٦، الإشارات والتنبيهات تح/د: عبدالقادر حسين ص ٢٦٦ ط: مكتبة الآداب ١٩٩٧م، والجناس اللاحق بين كلمتي " زمامي – وذِمامي " الأولي بالزين وتعني المقود، والأخرى بالذال وتعني الحق والحرمة، والمخرج متباعد بين الحرفين: الزاي الذال .

نظر في أنفس المفردات المتجانسة "[١].

٥- تَجْنِيْسُ التَّصْحِيْف:

التصحيف في اللغة: مصدر للفعل صَحَّف، يُقال: صَحَّفَ الكلمة أخطأ في قراءتها وروايتها في الصحيفة، أو حرَّفها عن وضعها، ويُقال: صَحَّفه فَتَصَحَّف أي غَيَّره فتغيَّر حتي التبس[٢]، ويتسبب التَّصْحِيف في تَغْيِير اللَّفْظ وَالْمعْنَى .

أمَّا في الاصطلاح: فهو أنْ يكون النَّقطُ هو الفارق بين اللفظين المتجانسين[٣]، ويُسَمَّي بالتَّجْنِيْس الخَطِّي، إذْ تتماثل فيه الكلمتان المتجانستان في الخَطِّ والرسم، وتختلفا في النَّقْطِ[٤]، وذلك بأن يكون الفارق بين الكلمتين المتجانستين النقط كـ: أنقى وأتقى، وسُمِّي بالمُصَحَّف لاختلاف اللفظين فيه بالنَّقْطِ، قال " الصفدي (ت:٧٦٤هـ)": " وإمَّا أنْ يكون الجِناس قد وقع أحد ركنيه موافقًا للأخر في صورة الوضع لا غير، دون الصيغة والإعجام والإهمال وهذا هو الجِناس الخَطِّي، ومنهم مَنْ يُسَمِّيه جِناس التصحيف"[٥]، قال " يحيي بن حمزة العلوي (ت:٧٤٩هـ)": "وإنَّمَا لُقِّبَ ما هذا حاله بالمُصَحَّف، لأنَّ مَنْ لا يفهم المعنى فإنه يُصَحِّفُ أحدَهما إلى الآخر لأجل تشابههما في وضع الخط كما ترى، ويقال له المرسوم أيضًا "[٦].

---

(١) نهاية الإيجاز ص٦١ .

(٢) المصباح المنير للفيومي – تح/ يوسف الشيخ ص ٣٣٤ ط: المكتبة العصرية .

(٣) ينظر: شروح التلخيص٤/٤٣٣، التعريفات للجرجاني ص٥٣، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم للسيوطي ١/١٠٥ ط: مكتبة الآداب القاهرة ٢٠٠٤م .

(٤) ينظر: العمدة لابن رشيق ٢/ ٣٢٧، تحرير التحبير ص١٠٥، كتاب الطراز للعلوي ٢/ ٥٦٥ .

.

(٥) جنان الجناس ص ٦٧ .

(٦) كتاب الطراز ٢/٣٦٦ .

قال "السَّكَّاكِيُّ": "والمختلفان في اللاحق إذا اتفقا كتبة كقولك: عائب عابث، سُمِّي تجنيس تصحيف "[1]، وعندما ننظر في صنعة " السَّكَّاكِي" في عرضه لـ " تَجْنِيْسِ التَّصْحِيْف " نجده قد تأثر بـ " الرَّازي" مع الإيجاز الظاهر، حيث إنَّ " الرَّازي" بعدما انتهي من الكلام علي المتجانسين المختلفين في قيد واحد قال: " فقد فرغنا من أقسام ما يكون الاختلاف في قيد واحد"، وشرع فيما يكون الاختلاف في قيدين، فقال:" وأما إذا كان في قيدين، فهو التَّجْنِيْسُ المُشَوَّش، كقولهم: فلان مَلِيحُ البلاغة، لَبِيقُ البراعة، فلو كانت عينا الكلمتين مُتَّحِدَتَيْن لكان تجنيس تَصْحِيف"[2]، وفي موضع آخر من كتابه تحدث عنه ولكن سماه "تجْنِيْسُ الخَطّ"[3] فقال: ومنها تجْنِيْسُ الخَطِّ كقوله تعالي: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[4]، وهنا نستطيع القول بأن "السَّكَّاكِيّ" كان أكثر دقة وتركيزا في ضبط الأقسام والتفريعات، والملاحظ أيضا أن كلا منهما أورد هذا النوع من التجنيس في معرض الحديث عن نوع آخر من أنواع التجنيس، بينما تحدث عنه من جاء بعدهم بشيء من التفصيل ومنهم من أفرد له بابا في كتابه، يقول ابن أبي الإصبع (ت:٦٥٤هـ): تجنيس التصحيف، ولم يذكره التبريزي في أقسام التجنيس، وجعل التصحيف بابًا مفردًا، وهو أن يكون النقط فارقًا بين الكلمتين كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ وكقوله ﷺ: " لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويتحلى بما لا يغنيه " وكقول البحتري: [من الطويل]:

وَلَمْ يَكُنْ الْمُغْتَرُّ بِاللهِ إِذْ سَرَى لِيُعْجِزَ والمعْتَزّ باللهِ طالِبُه[5].

---

(١) مفتاح العلوم ت د/ عبد الحميد هنداوي ص ٥٤٠ .

(٢) نهاية الإيجاز ص٦١ .

(٣) نهاية الإيجاز ص ٥٠ .

(٤) سورة الكهف من الآية ١٠٤ .

(٥) تحرير التحبير ص ١٠٦ .

٦- التَّجْنِيْس المُزْدَوَج[١] والمُكَرَر والمُرَدَد:

المُزْدَوَجُ مأخوذ من قولهم: زَوَّجَ الشَّيءَ بالشَّيءِ وزَوَّجه إليه قَرَنَهُ[٢]، أمَّا المُكَرر والمُرَدَّدُ فمأخوذٌ من تكراره وترداده، وسُمِّي بذلك لازدواج اللفظين بتواليهما وتكرير أحدهما بالآخر وترداده به[٣]، وهو أنْ يَجْمَعَ مؤلفُ الكلام بين كلمتين إحداهما كالتبع للأخرى، والجنيبة لها[٤]، وعرَّفهُ البلاغيون بقولهم: أنْ يلي أحدُ اللفظين المتجانسين المتجانس الآخر من غير أنْ يُفصَلَ بينهما بفاصل سوي حرف جرّ، أو حرف عطف وشبه ذلك[٥].

هذا، وقد أفاد" السَّكَاكِي" من تناول البلاغيين قبله لهذا اللون من التَّجْنِيْسِ، وبخاصة "الزَّمَخْشَري (ت:٥٣٨هـ)"، و"الإمام الرَّازي (ت:٦٠٦هـ)"، فقد قال "الزَّمَخْشَري" في تفسيره: (وقوله " مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ"[٦] من جنس الكلام الذي سمَّاهُ المحدِّثُون البديع، وهو من محاسنِ الكلام الذي يتعلقُ باللفظ، بشرط أنْ يجيءَ مطْبُوعًا، أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده[٧]، ولقد جاء جاء هاهنا زائدًا على الصِّحَةِ فحسن وبدع لفظا ومعنى، ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبإ بخبر، لكان المعنى صحيحًا، وهو كما جاء أصَحُّ، لِمَا في النبإ، من الزيادة التي

---

(١) وسمَّاه " ابن الأثير (ت:٦٣٧هـ)": " المُجَنَّب " (المثل السائر ٢٥٧/١) .

(٢) تاج العروس ١٤٢٧/١، لسان العرب ٢٩١/٢، المحكم والمحيط الأعظم ٣٢٩/٣ " زوج " .

(٣) شروح التلخيص ٤/ ٤٢٩ .

(٤) وهو بلزوم ما لا يلزم أولي منه بالتجنيس. [المثل السائر لابن الأثير ٢٥٧/١] .

(٥) الإيضاح ص ٢١٩، شروح التلخيص ٤٢٩/٤، المطول ص ٤٤٨ .

(٦) سورة النمل من الآية ٢٢ .

(٧) وكأن هناك تجنيسا لا يراعي فيه هذا الشرط فيضعه متكلفون أدعياء لا يحفظون فيه روح المعني، ولا سلاسة النظم [البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٥٩٢] .

يطابقها وصف الحال[١]، لكنَّ تأثره بالإمام "الرَّازي" كان أكثر وأوضح، فقد قال "الرَّازي": " أن ينضم البعض إلي البعض في أواخر الأسجاع وقوافي الأبيات، وهذا يسمى مُزْدَوجًا ومُكَرَّرًا أو مُرَدَّدًا، وهو علي قسمين: تارة يكون في صدر اللفظ الأول حرفان أبدًا، كقولهم: النَّبِيْذُ بِغَيْرِ النَّغمِ غمّ، وبِغَيْرِ الدَّسمِ سمّ، وتارة لا يكون، كقولهم: مَنْ طلب شيئًا وجَدَّ وَجَد ومن قرعَ بابًا ولَجَّ وَلَجَ "[٢]، ونراه في تفسيره " مفاتيح الغيب " يذكر كلام الزمخشري " السابق، مع تغيير قليل، حيث يقول:(والنَّبَأُ الخَبَرُ الذي له شأن، وقوله: " مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ " من محاسن الكلام الذي يتعلقُ باللفظِ، وشرطُ حُسْنِه صحةُ المعنى، ولقد جاء ههنا زائدًا على الصِّحَةِ فَحَسُنَ لفظًا ومعنى، ألا ترى أنه لو وضع مكان " بِنَبَأٍ " بخبر لكان المعنى صحيحًا، ولكن لفظ النبأ أولى لما فيه من الزيادة التي يطابقها وصف الحال)[٣]، وعندما ننظر في صنعة " السَّكَّاكِي" نجده قد أخذ المُصطلح من "الإمام الرَّازي"، فقد اعتمد عليه في ذكر المصطلح، كما اعتمد في تحديد مفهومه، وأقسامه، وذكر أمثلته، لكن عبارة " السَّكَّاكِي" كانت أكثر إيجازًا، حيث قال: "والمتجانسان إذا وردا على نحو قولهم: مَنْ طَلَبَ وَجَدَّ وَجَد، أو قولهم: مَنْ قَرَعَ بَابًا وَلَجَّ وَلَج، وعلى نحو:" الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ"[٤]،" وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ"، أو على نحو قولهم: النبيذ بغير النّغم غم، وبغير الدّسم سم، سُمِّيَ ذلك مُزْدَوَجًا ومُكَرَّرًا ومُرَدَّدًا "[٥]، لكن يُحمد لـ "السَّكَّاكِي" أنَّه لم يقتصر علي الأمثلة المصنوعة التي ذكرها ذكرها "الرَّازي"، وإنما أضاف إليها من الحديث النبوي والقرآن الكريم، وقد أفاد

---

(١) الكشاف ٣٦٠/٣ ط: الثالثة دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٧هـ .

(٢) نهاية الإيجاز ص ٦١ .

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ١٦٣/٢٤ ط: أولي دار الكتب العلمية– بيروت– ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م .

(٤) هذا جزء من حديث تمامه: " كالجَمَلِ الأَنِفِ إِنْ قِيدَ انْقَادَ، وَإِذَا أُنِيخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ" [شعب الإيمان للبيهقي ٢٧٢/٦ حديث رقم ٨١٢٨] .

(٥) مفتاح العلوم تح د/ عبد الحميد هنداوي ص ٥٤٠ .

البلاغيون بعده من صنيع "الرَّازي" و "السَّكَّاكِي" وغيرِهمَا حين ذكروا أنَّ هذا النوعَ من التَّجْنِيْس يقعُ في كلِّ صور التجنيس التام منها وغير التام[١]، في الشِّعْرِ والنثر علي السواء، كما ذكروا أنَّه لا يقدح في تسميته بما سُمِّيَ به الفصل بين المتجانسين فيه بحرف جر – كالباء – نحو " وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ"، أو حرف عطف – كالواو –في: هذه لك جُبَّةٌ وجُنَّةٌ من البُرْدِ للبَرْدِ، وهذا السيفُ للأعداءِ والأولياءِ حَتْفٌ وفَتْحٌ، أو "في" الظرفية نحو: تقومُ السَّاعةُ في ساعةٍ[٢].

٧- التَّجْنِيْس المُشَوَّش:

ويُسَمَّي بـ " المُذَبْذَب "[٣]، والتشويشُ: التخليط، يقالُ: شَوَّشَهُ خَلَطَهُ، وأَسَاءَ تَرْتِيْبَه، ويقال: شَوَّشَ بَيْنَهُم فَرَّق وأفسد[٤]، والمُشّوَّشُ من الشَّيءِ: المُختلطُ والمُضطربُ غيرُ المستقيم في التركيب والمعني، قال " الخليل بن أحمد (ت:١٧٠هـ)": " الوشوشةُ: كلامٌ في اختلاط، وكذلك التّشويش"[٥].

والتَّجْنِيْسُ المُشَوَّشُ هو كُلُّ تجْنِيْسٍ تجاذبه نوعان من أنواع التَّجْنِيْس، ولا يمكن إطلاق اسم أحدهما عليه دون الآخر[٦]، قال "الصَّفدي(ت٧٦٤هـ)": " اعلم أنَّه متي وقع لك جناس وتجاذبه طرفان من الصناعة ليس إطلاق أحدهما عليه أولي من الآخر

---

(١) ينظر: شروح التلخيص ٤/٤٢٩، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ٢/٢٩٥ .

(٢) ينظر: شروح التلخيص ٤/٤٣٠

(٣) الذي لا هو من هذه، ولا من هذه، قال تعالي:﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ [سورة النساء من الآية ١٤٣] .

(٤) المعجم الوسيط ١/٤٩٩ " شوشه " ط: دار الدعوة .

(٥) معجم العين – باب الرباعي من الشين، وقال " أبو البقاء ت١٠٩٤هـ":(أجمع أهل اللغة على على أن " التشويش " لا أصل له في العربية وأنه مولد)[الكليات ١/٤٣٤، المُزهر للسيوطي تح/ فؤاد علي منصور ١/٢١٠ ط: دار الكتب العلمية] .

(٦) كتاب الطراز للعلوي ٢/٣٦٨، معيار النُّظار للزنجاني ص ٧٩ .

فإنَّ أربابَ هذا الفنّ اصطلحوا علي تسميته بـ الجِنَاسِ المُشَوَّش، كقولك: فلان لبيق البراعة مليح البلاغة "(١).

وإذا عرضنا لصنعة " السَّكَّاكِي" لهذا اللون من التَّجْنِيْس نجده اعتمد علي "الإمام الرَّازي" في ذكر المصطلح، والتمثيل له، حين قال:" وها هنا نوعٌ آخر يُسَمَّى تَجْنِيْسًا مُشَوَّشًا، وهو مثلُ قولك: بَلَاغَةٌ وبَرَاعَةٌ "(٢)، لكن "الرَّازي" كان أكثر دقة وتفصيلًا في بيانه أنَّ التَّجْنِيْسَ إذا تجاذبه نوعان منه، ولا يمكن تفضيل أحدهما علي الآخر بالإطلاق عُرِفَ بـ " المُشَوَّش"، من قولهم: "تَشوَّشَ عليه الأمر: اختلط والتبس"(٣)، كما ذكر علَّة تسميته بـ "المُذبْذَب"، انظر قوله: " وأمَّا إذَا كان في قيدين، فهو "التَّجْنِيْسُ المُشَوَّش" كقولهم: فُلَانٌ مَلِيحُ البلاغة، لَبِيقُ البراعة، فلو كانت عينا الكلمتين مُتَّحِدَتَيْن لكان تجنيس تَصْحِيف، أو لامهما مُتَّفِقين لكان تجنيس مُضَارعة فلما لم يكن كذلك، بقي "مُذَبْذَبًا"(٤)، والواقع أنَّ هاتين الكلمتين لا تدخلان في بنية التجنيس ولا تُعدَّان منه، وأنَّ " الرَّازي" اعتمد في عدِّهما من التجنيس علي توهم معين لا يتحقق علي المستوي اللفظي للصياغة، وهو: " فلو كانت عينا الكلمتين مُتَّحِدَتَيْن لكان تجنيس تَصْحِيف، أو لامهما مُتَّفِقين لكان تجنيس مُضَارعة، ولا شك أنَّ هذا بعيدٌ عن بنية التَّجْنِيْس التي تعتمدُ علي وجود تماثل صوتي متحقق فعلًا بين المفردات المتجانسة في جميع أصواتها أو معظمها، لا تماثل محتمل يجري في الوهم أو الخيال(٥).

---

(١) فقد وقع الاختلاف بين الراء واللام وهذا جناس تحريف، كما وقع الاختلاف بين العين والغين وهذا جناس تصحيف .

[جنان الجناس ص ٨٢].

(٢) مفتاح العلوم تح د/ عبد الحميد هنداوي ص ٥٤٠ .

(٣) المعجم الوسيط ٤٩٩/١ " شوشه " .

(٤) نهاية الإيجاز ص ٦٢ .

(٥) البلاغة والأسلوبية عند السَّكَّاكِي د/ محمد صلاح زكي- ص ٣٥٧ ط: مطبعة جامعة الأزهر بغزة.

المبحث الثالث

صَنعة "السَّكَّاكِي" في التَّجْنِيْس التَّام المُرَكَّب .

بعدما فرغ "السَّكَّاكِيُّ" من الحديث عن اللفظتين المتجانستين المستقلتين في الصياغة أخذ يتحدث عن التجنيس الواقع بين لفظ مفرد وآخر مُرَكَّب، وذكر من ذلك:

١- التَّجْنِيْس المُتَشابه:

الشِبْه والشَبَه والشّبيه، المِثْل وقد تشابَه الشيئان واشتبَها: أشْبَه كل واحد منهما صاحبَه[١]، والتشابهُ يقتضي التَّساوي، وأمَّا التشبيهُ فيقتضي التفاوتَ، "والمُشْتَبَهَات من الأمور: المشكلات ... واشتبه الأمر إذا اختلط"[٢].

والتَّجْنِيْسُ المتشابه هو ما كان أحدُ اللفظين المتجانسين مفردًا، والآخر مُكوَّنًا من كلمتين مع تشابه المتجانسين في الخطِّ[٣]، أي في الكتابة، وقد عرض " السَّكَّاكِي" لهذا النوع من التَّجْنِيْس، وذلك في قوله: " وإذا وقع أحد المتجانسين في التام مركبا ولم يكن مخالفا في الخط، كقوله[٤]:

إذا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَة فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَة[٥]

---

(١) المخصص في اللغة لابن سيدة ٢٦٩/٧ " المشابهة والمماثلة" .

(٢) لسان العرب ٥٠٥/١٣ " شبه " .

(٣) شروح التلخيص ٤١٨/٤ .

(٤) أورده القزوينى في الإيضاح ص ٥٣٧ وعزاه لأبي الفتح البستى، وبدر الدين بن مالك في المصباح ص ١٨٥.

(٥) ذا هبة" الأول: أي: صاحب هِبَةٍ، وهي مركبة من كلمتين:" ذا " بمعني صاحب، و"هبة " بمعني بمعني عطية، والثانية اسم فاعل من الذّهاب، بمعني زائلة غير باقية، وهي كلمة واحدة مؤنث اسم فاعل من ذهب، ويلاحظ أنَّ الشاعر يعبرُ عن وجهة نظر خاصة تظهر في الربط بين بقاء ←←←

سُمِّيَ: مُتَشَابَهًا"[1]، وإذا نظرنا إلي صنعة " السَّكَّاكِي" هذه نجده قد اعتمد علي "الرَّازي"، وذلك من قوله: " وإذ قد أتينا علي أقسام متجانسة المفردين، فلنذكر مجانسة المفرد والمركّب، وهو علي ضربين: متشابه لفظًا وخطًّا، ومتشابه لفظًا لا خطًّا، فالأول كقوله:

إذا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَة فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَة[2]

وواضح من نَصّ " الرَّازي" أنه ينتقلُ من الحديثِ عن التَّجْنِيْسِ المُفرد الطرفين إلي الحديث عن المفرد والمُركَّب، أعني الذي أحدُ طرفيه مُفْردًا والآخرُ مُرَكَّبًا – فيذكر الصُّور التي يمكن أنْ يتأتى عليها، فيُقَسِّمه قسمين؛ لأنَّ طرفيه إمَّا أنْ يتشابها في اللفظِ والخَطِّ، أو يتشابها في اللفظ دون الخَطِّ، ويُسَمِّي الثاني بـ "المَفْرُوق"، ونراه يمثِّلُ لكلٍّ منهما من شِعْرِ أبي الفتح البُسْتِي (ت:٤٠١هـ)، وما سلكه " الرَّازي" في التقسيم والضبط، وتوليد الأقسام بعضها من بعض أخذه عنه "السَّكَّاكِي"، ويلاحظ أنَّ " الرَّازي" لم يَنُص علي مصطلح " المُتَشابَه "، وقد نَصَّ عليه "السَّكَّاكِي".

٣- التَّجْنِيْس المَفْرُوق[3]:

الفَرْقُ: خلافُ الجَمْعِ، والتفريقُ: التَمْيِيزُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، ومنه سُمِّي القُرآن

→→→

الحكم ووجود العطاء، فما كان العطاء موجودًا كان الملك باقيًا، وغياب الأول (العطاء) منذر بذهاب الثاني (الدولة أو الملك) وزواله .

(١) مفتاح العلوم تح د/عبد الحميد هنداوي ص ٤٠ .

(٢) نهاية الإيجاز ص ٦٢ .

(٣) يطلق المفروق علي ما اعتل فاؤه ولامه نحو: وقي، وعلي حرفين متحركين بينهما ساكن نحو: قال، وعلي كل تشبيه جمعُ كلِّ مشبَّهٍ مع ما شُبِّهَ به، كقول الشاعر:

النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجُوهُ دَنَا نِيرٌ وأَطْرَافُ البَنَانِ عَنَمْ

بالفرقان؛ لأنَّه فرَّق بين الحقِّ والباطل، وَالْفَارِقُ مِنَ النَّاسِ: الَّذِي يَفْرِقُ بَيْنَ الْأُمُورِ، يَفْصِلُهَا، وجَمْعُ المَفْرُوقِ مَفَارِيق(١).

والتَّجْنِيْسُ المَفْرُوق: هو ما كان أحدُ اللّفظَيْنْ المتجانسين فيه مركّبًا من كلمتين مع اختلافهما في الخطّ(٢)، وسُمِّي بالمَفْرُوقِ لافتراقِ اللفظين فيه في صورة الكتابة(٣).

وعندما نتأمَل صنعة " السَّكَّاكِي" في هذا اللون من التَّجْنِيْسِ نجده يُسَايرُ" الرَّازي" في تفريع هذا القسم مما قبله، يقول " الرَّازي": " وإذْ قد أتينا علي أقسام مُتَجانسة المُفْردين، فلنذكر مجانسة المُفْرد والمُرَكَّب، وهو علي ضربين: متشابه لفْظًا وخَطًّا، ومتشابه لفْظًا لا خَطًّا... والثاني يُسَمَّى بـ التَّجْنِيْسِ المَفْرُوق، كقوله:

كُـلّكُمْ قَـدْ أَخَـذَ الْجَـآمَ وَلاَ جَـامَ لَنـا ما الذى ضَرَّ مُديرَ الجَامِ لَوْجَامَلَنَا"(٤).

فـ " الرَّازي" بعد أنْ يقرر القاعدة المشتركة بين اللونين: المُتَشابَه والمَفْرُوق ينتقلُ إلي ما يُمَيِّزُ أحدهما عن الآخر، فاللونان يشتركان في أنَّ أحدَ طرفيهما مُفْردٌ والآخرَ مُرَكَّبٌ، والذي يفصلهما هو التشابه في اللفظِ والخَطِّ، أو التشابه في اللفظ دون الخَطِّ،

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس ٤٩٣/٤، لسان العرب ٢٩٩/١٠ " فرق ".

(٢) ينظر: الإيضاح ص ٢١٧، شروح التلخيص ٤/ ٤١٨، تحرير التحبير ص ١٠٩ .

(٣) شروح التلخيص ٤١٨/٤ .

(٤) نهاية الإيجاز ص ٦٢، الجام: إناء يُشْرَب فيه الخمر، مُدير الجام: السَّاقِي؛ لأنَّه يديره عليهم حال السَّقْي جاملنا: من المجاملة، أي عاملنا بالجميل، والمعني: كُلُّ الحاضرين قد أخذ كأس الخمر وشرب، أمَّا نحن فلم نأخذ ولم نشرب، ولا ضرر علي مدير الجام لو عاملنا بالجميل وأدار الكأس علينا كما أداره علي غيرنا، وقد وقع التجنيس بين " جام لنا " في نهاية البيت الأوَّل – وهو مركب من كلمتين:" جام " وهي اسم " لا " و" لنا" وهو جار ومجرور – و" جاملنا" في نهاية البيت الثاني، وهو مكون من فعل ومفعول، لكنهم عدوا الضمير المتصل من أجزاء الكلمة فصار المجموع في حكم المفرد .

ويُسَمِّي الثاني بـ المَفْرُوق، ونراه يمثِّلُ لكلٍّ منهما من شِعْرِ أبي الفتح البُسْتِي (ت: ٤٠١هـ)

ويأتي " السَّكَّاكِي" ويفيد من هذا كله، وينهج نهج " الرَّازي" إذْ نراه بعد أنْ انتهي من الحديثِ عن التَّجْنِيْسِ المفرد يقول:" وإذَا وقع أحدُ المتجانسين في التَّام مُرَكَّبًا ولم يكن مُخَالفًا في الخَطِّ، كقوله:

(إذا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَة *** فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَة)

سُمِّيَ: مُتَشَابِهًا، وإن كان مُخَالِفًا فِي الخَطِّ كقوله:

كُـلّكُمْ قَـدْ أَخَـذَ الْجَـآمَ وَلاَ جَـامَ لَنـا ما الذى ضَرَّ مُديرَ الجَامِ لَوْجَامَلَنَا"[١].

سمي مفروقا "[٢].

فهو يسيرُ علي نهج "الرَّازي" في التقسيم والتفريع والتمثيل، غير أنَّ عبارةَ "السَّكَّاكِي" أكثرُ اختصارًا ودقةً، حيث اختصر عبارة "الرَّازي"، ونَصَّ علي مصطلح المُتشابه .

ونأخذُ من كلام الشيخيين أنَّه لا فرق في المُتَشابَه والمَفْرُوقِ أنْ يتقدمَ المُفردُ علي المُرَكَّبِ أو يتأخر[٣]، والعبرةُ في التفرقة بين النوعين هي الاتفاق في الخَطِّ أو عدمه .

---

(١) أورده محمد بن علي الجرجاني في الإشارات ص ٢٩١ وعزاه لأبي الفتح البُستي، والقزوينى في الإيضاح ص ٥٣٨، معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي ٣٢٥/١ .

(٢) مفتاح العلوم تح د / عبد الحميد هنداوي ص ٥٤٠ .

(٣) فمن تقدم المفرد قول القاضي بهاء الدين السبكي، رحمه الله تعالى:

كُـنْ كَيْـفَ شِـئْتَ عَـن الهَـوى لَا أَنْتَهِـي حَتَّـى تَعُـودَ لِـيَ الحَيَـاةُ وَأَنْـتَ هِـي

ومن تقدم المركب قول قاضي القضاة، تقي الدين بن الحسني الحنفي:

سَـلْ سَـبِيْلًا إِلَـى النَّجَـاةِ وَدَعْ دَمْـعَ عُيُـونِي تَجْـرِي لَهُـم سَلْسَـبِيْلَا

[يراجع: خزانة الأدب لابن حجة الحموي ٦٠/١].

وصنيع " السَّكَّاكِي " هنا كان له الأثر البارز في وقوف كل مَن جاء بعده علي الصُّور التي يمكن أنْ يتأتى عليها التجنيس التام المركب مثل: المُلَفَّق(١)، والمرفو(٢)، وغيرهما .

(١) وهو ما كان طرفاه مركبين كقول أبي علي بن أبي الحصين:

فَلَمْ تَضَعْ الأَعَادِي قَدْرَ شَأنِي وَلَا قَالُوا فُلَانٌ قَدْ رَشَانِي

(٢) وهو ما كان أحد اللفظين المتجانسين مكون من كلمة، والآخر من كلمة وبعض كلمة، ومنه قول الحريري:

سِمْ سِمَةً تحْسُنُ آثارُها واشكُرْ لمنْ أعطى ولوْ سِمسِمَهْ

المبحث الرابع

صَنْعَةُ "السَّكَّاكِي" فيما يُلْحَقُ بالتَّجْنِيْس .

ألحق البلاغيون بـ " التَّجْنِيْسِ " شيئين أحدهما: أنْ يجمعَ اللفظين الاشتقاق(١)... الآخر: أنْ يجمعهما المشابهة، وهي ما يُشبه الاشتقاق وليس به(٢)، و" السَّكَّاكِي" عندما عرض للحديث عن ذلك أفاد من " الرَّازي" وغيرِه، فإذا نظرنا في كلام " الرَّازي" نجده قسَّم الحديثَ عن التَّجْنِيْسِ وما يلحق به فصلين، وجعل الفصل الأول في الحديث عن التَّجْنِيْسِ، وبعدما انتهي منه قال: "الفصل الثاني: في الاشتقاق" ووضح مفهومه بقوله: " وهو أن تجيء بألفاظ يجمعها أصلٌ واحدٌ في اللغة، كقوله تعالي: ﴿فَأَقِم وَجهَكَ لِلدِّينِ ٱلقَيِّمِ﴾(٣)، وقوله تعالي: ﴿يَمحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُربِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾(٤) وقوله تعالي: ﴿فَرَوح وَرَيحَان وَجَنَّتُ نَعِيم﴾(٥) وقوله ﷺ: " الظُّلَمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ

---

(١) عندما يطلق " الاشتقاق " يراد به " الاشتقاق الصغير، أو الأصغر" وهو نزع لفظ من آخر أصل منه، بشرط اشتراكهما في المعني والأحرف الأصول وترتيبها، وهذا النوع أكثر أنواع الاشتقاق ورودًا في العربية، وأعظمها أهمية، وهناك نوعان آخران هما: الاشتقاق الكبير– القلب اللغوي، وهو أن يُشتق من كلمة كلمة أخري أو أكثر، وذلك بتقديم بعض الحروف علي بعض دون زيادة أو نقصان، بشرط أن يكون بين الكلمتين تناسب في المعني – والاشتقاق الأكبر وهو أنْ تأخذَ أصلًا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلي تقاليبه الستة معني واحدًا تجتمع عليه. [مفتاح العلوم تح د/ عبد الحميد هنداوي ص ٤٨، ٤٩].

(٢) ينظر: شروح التلخيص ٤/ ٤٣٠، ٤٣١ .

(٣) سورة الروم من الآية ٤٣ .

(٤) سورة البقرة من الآية ٢٧٦ .

(٥) سورة الواقعة الآيتان ٨٨، ٨٩ .

الْقِيَامَةِ"(١)، ويتبع ذلك بقوله: " ومما يُشبه المشتقّ وليس منه، قوله تعالي: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾(٢)، وقوله تعالي:﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾(٣)، ويردف ذلك ببيان علَّة إيراد الاشتقاق عقب التَّجْنِيْسِ بقوله:" وإنما أوردنا الاشتقاق في هذا الباب، وإن كان لا بد فيه من رعاية المعني؛ لقُرْبِه من المُتَجَانِسَيْنِ "(٤).

أمَّا " السَّكَّاكِي" فقد دخل علي المُلْحَقِ بـ التَّجْنِيْس" مباشرة، وكأنَّ ذلك من المعلوم لدي البلاغيين، إذ نراه يقول: "ومما يُلْحَقُ بالتَّجْنِيْس نظير قوله ﷻ: ﴿قالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ﴾﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ﴾ وكثيرًا ما يُلْحَقُ التَّجْنِيْس الكلمتان الراجعتان إلى أصل واحد في الاشتقاق، مثل ما في قوله عزَّ اسمُه:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾، وقوله: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ ﴾(٥).

ونظرةٌ إلي صنْعَةِ " السَّكَّاكِي" هنا نجده متأثرًا بـ" الرَّازي" في تقسيم ما يُلْحَقُ بـ "التَّجْنِيْسِ" إلي قسمين، لكنَّ " السَّكَّاكِي" يبدأُ بما يُوهِمُ ركناه أنَّهما مُشتقان من أصْلٍ واحد، والحقيقةُ أنَّ كُلًا منهما منفردٌ عن الآخر، بخلاف " الرَّازي" الذي بدأ بما يجمعُ اللفظين أصلٌ واحدٌ في اللغة، ويعتمد " السَّكَّاكِي " في بيان ضابط هذه الصُّورة علي الأمثلة، ونراه يُمَثِّلُ بنفس الأمثلة التي ذكرها " الرَّازي"، وهي قوله تعالي: ﷻ:﴿قالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ﴾، وقوله ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ﴾، ففي الآية الأولي وقع الاشتقاق بين " قَالَ" و" القَالِين"، والظاهرُ يُوهِمُ أنَّهما يرجعان إلي أصلٍ لغوي واحد،

---

(١) صحيح البخاري ١٢٩/٣ حديث رقم ٢٤٤٧ بَاب: الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

(٢) سورة الرحمن الآية ٥٤ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١٦٨ .

(٤) نهاية الإيجاز ص ٦٣ .

(٥) مفتاح العلوم تح د/ عبد الحميد هنداوي ص ٥٤١، والآية من سورة الواقعة رقم ٨٩ .

والحقيقة أنَّ لكلٍّ منهما أصْلًا خاصا به[١]، فـ " قَالَ " من القَوْلِ بمعني الكلام، و"القَالِيْن" من القَلْي بمعني البُغْضِ والكُرْه، فهما – وإنْ تشابهت حروفهما– مختلفان لا يرجعان إلي أصل واحد[٢]، وكذا قوله ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ﴾، والجني[٣]: ما يُجْتَنى من الشَّجَرِ، وهو الثمر، ودان: من الدنو، وهو القُرْبُ، والمعني: ثمرُ الجنَّتين قريبُ التناول ينالُه القائمُ والقاعد، والكلمتان " جَنَى الْجَنَّتَيْنِ " لا يرجعان إلي اشتقاقي واحد، وهذا النوع أقرب إلي التَّجْنِيْسِ الاصطلاحي؛ لأنَّ اللفظين متشابهان في الحروف، ومختلفان في المعني، ولعل هذا هو السِّرُّ في ابتداء " السَّكَّاكي" به .

ثُمَّ يذكر" السَّكَّاكِي" النوع الثاني من المُلْحق بـ " التَّجْنِيْس" والذي بدأ به " الرَّازِي"، يقول "السَّكَّاكِي":" وكثيرًا ما يَلْحَقُ التَّجْنِيْسَ الكلمتان الراجعتان إلى أصل واحد في الاشتقاق "[٤]، فيصف هذا النوع بالكثرة، ويعتمد في بيان صورته علي " الرَّازي"، كما نراه يقتصر علي الأمثلة بمثالين فقط مما جاء به " الرَّازِي"، وهما قوله عزَّ اسمُه:﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾، وقوله: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ﴾[٥]، ففي الآية الأولي نجد نجد أنَّ " أقم" و" القّيِّم " يجمعهما أصل لغوي واحد، فهما مأخوذان من القيام علي مذهب البصريين، أو من قام يقوم علي مذهب الكوفيين[٦]، وكذا قوله "فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ" وَرَيْحانٌ" فهما يتشابهان في الحروف الأصول التي يجمعها أصل لغوي واحد هو الرِّيْحُ .

---

(١) ينظر: الإيضاح ص ٢٢٠، شروح التلخيص ٤/ ٤٣١، المطول ص ٤٤٩ .

(٢) شروح التلخيص ٤٣٢/٤ .

(٣) الجَنَي: اسْمٌ بمعنى مَجْنِيٌ .

(٤) مفتاح العلوم تح د/ عبد الحميد هنداوي ص ٥٤١ .

(٥) مفتاح العلوم تح د/ عبد الحميد هنداوي ص ٥٤١، والآية من سورة الواقعة رقم ٨٩ .

(٦) وفي الأطول:" أقم مشتق من القيام وهو الانتصاب، والقيّم المستقيم المعتدل الذي لا إفراط فيه فيه ولا تفريط" شروح التلخيص ٤٣/٤ .

وإذا نظرنا في صنعة " السَّكَّاكِي" فيما يلحق بـ " التَّجْنِيْسِ " نجدها تتميَّزُ بمظاهر عِدَّة يأتي في مقدمتها الدقة في التعبير، وهذا واضح من قوله:" ومما يُلْحَقُ بالتَّجْنِيْسِ" فما ذكره من النوعين ليس من التَّجْنِيْسِ الحقيقي، بل هما مُلحقان به في كونهما مما يحسنُ به الكلام كحُسْنِ الجِنَاسِ[١]، ومن الدقة أيضًا قوله (نظير قوله ﷻ: ﴿قالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ﴾، ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دانٍ﴾، إذ معناه أنَّ كلَّ ما كان نظير هذه الأمثلة من التشابه في الحروف والاختلاف في أصل الاشتقاق هو من الملحق بـ " التَّجْنِيْسِ"، وليس من التَّجْنِيْسِ حقيقة، وكأنه يردُّ علي "الزَّمَخْشري" قوله في قوله تعالي:﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنهُم وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[٢]،:" والتجانس بين لفظتي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعًا غير متعمَّل فيملح ويبدع[٣]، ونحوه قوله ﷻ ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ﴾[٤].

ومنها تعبيره بقوله: " وكثيرًا ما يُلْحَقُ بالتَّجْنِيْسِ الكلمتان الراجعتان إلى أصلٍ واحدٍ في الاشتقاق، مثل ما في قوله عزَّ اسمُه:﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ وقوله :﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ﴾ "، فتعبيره بـ "كثيرًا" يُشير إلي أنَّ " هذا النوع من المُلْحَقِ بالجناس سهلُ التناول، قريبُ الوجود كما لا يخفي، فإنَّ كُلَّ أحد يتأتى له أينما أراد أنْ يقول: قال قائل، وقام قائم، وقعد قاعد ونحو ذلك "[٥].

---

(١) شروح التلخيص ٤/٤٣٠ .

(٢) سورة يوسف من الآية ٨٤ .

(٣) وكأنه يشير إلي أن هناك تجانسا يقع متكلفا مصنوعا فلا يملح ولا يحسن .

(٤) سورة التوبة من الآية ٣٨، الكشاف ٢/١١٨، ومثله أيضًا قوله تعالي:﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ﴾[النور من الآية ٣٧]، وقوله ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ [الأنعام من الآية ٧٩].

(٥) مواهب الفتاح ٤/٤٣٠، ٤٣١ (ضمن شروح التلخيص).

*** بلاغة " التَّجْنِيْسِ ":**

أفاد "السَّكَّاكِيُّ" من كلام كُلٍّ من الإمام/ عبد القاهر، والعلامة الزَّمَخْشَرِي في بيان أهمية "التَّجْنِيْسِ"، إذ رأي الإمام/ عبد القاهر أنَّ تجانس اللفظتين لا يُستحسن إلا إذا كان وقع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا، ولم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمًى بعيدًا(١) وقال: "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسًا مقبولًا، ولا سَجَعًا حَسَنًا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وسَاق نحوَه، وحتى تَجِده لا تبتغي به بدَلًا، ولا تجِد عنه حِوَلًا "(٢)، وقال " الزَّمَخْشَرِيُّ ":(وقوله "مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ" من جنس الكلام الذي سماه المحدّثون البديع، وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ، بشرط أن يجيء مطبوعًا، أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده، ولقد جاء ههنا زائدًا على الصحة فحسن وبدع لفظًا ومعنى، ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبإ بخبر، لكان المعنى صحيحًا، وهو كما جاء أصح، لما في النبإ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال)(٣)، وقال في قوله تعالي ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنهُم وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: والتَّجَانُسُ بين لفظتي الأَسَفِ ويُوسُفَ مما يقعُ مطْبُوعًا غير متعمل فيملح ويبدع، ونحوه قوله ﷻ ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ﴾، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾، ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾، ﴿مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾. (فالواضح من النصوص السابقة أن نظر الإمام عبد القاهر والزمخشري كلاهما من فنون البديع إلى أثرها في المعنى، وإلى علاقتها بالنظم، واستنبطا المعاني التي

---

(١) كتاب أسرار البلاغة تح/ محمود محمد شاكر ص ٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١١ .

(٣) الكشاف للزمخشري ١٣٩/٣ (فإذا كان الجناس من محاسن اللفظ فهو يقع في القرآن مطبوعا غير متكلف، فيحسن ويبدع لفظا ومعني، وهو من صميم البلاغة بشرط أن يضعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعني، وسداده، وكأن هناك تجنيسا لا يراعي فيه هذا الشرط فيضعه متكلفون أدعياء لا يحفظون فيه روح المعني، ولا سلاسة النظم (البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٥٩٢) .

نهضتْ بها هذه الفنون، لذلك توجَّهت أنظارهما إلى كل شاهد من جهة النظم، وتأمَّلا علاقة كل شاهد بما حوله في السياق من كلمات وجمل ومواقف، ولم ينظرا إلى الشاهد على أنه دليل للفن البديعي، أو تحقق جديد له، أو على أنه قسم من أقسامه، كما كان يفعل قدامة وأبو هلال مثلًا؛ إذ كان أحدهما يعرف الفن البديعي، ثم يكثر من الاستشهاد له، وهو ما انتهجه السَّكَّاكِي فيما بعد، غير أن السَّكَّاكِي بفهمه العميق للوظيفة الجمالية التي تقوم بها البلاغة في الكلام، وأنها مصدر تحسين وتزيين للأسلوب، قد نبه على أن هذا التحسين، وذاك التزويق المضاف لا بد أن يخضع لإجراء معين، كي لا يكون منفصلا عن جوهر الأسلوب أو فكرته، ويصبح متكلفا مرفوضا من قبل الآخرين فقال: إن "أصل الحسن في جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعاني، لا أن تكون المعاني لها توابع أعني: أن لا تكون متكلفة "[١] أي: "أن تركيب الكلام، ونسيجه اللغوي في صورته الإبداعية لا ينعزل عن الفكرة التي يتناولها، وإنما يأتي خادما لها ومعبرا عنها في بوتقة واحدة، يتمازج فيها الشكل مع الجوهر، وهي تمثل أسلوب العمل الأدبي، وبهذا استطاع أن يتجاوز النظرة القائلة بأن الأسلوب طبقة زائدة أو غطاء إضافيا متميزا عن الطبقة الأساسية للنص غير المزينة. وتدعيما لهذا القول نرى أن السَّكَّاكِيّ عند تحديده لمفهوم البلاغة يجمع بين الحرص على تأدية المعنى المطلوب (الفكرة) كاملا، وبين العناية بالوسائل التعبيرية اللغوية والمجازية التي يتشكل فيها، واللذان بهما يتحقق القول البليغ أو ما يسمى بالقول الإبداعي، فالبلاغة "هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها...[٢])[٣].

---

(١) مفتاح العلوم ص ٥٤٢ .

(٢) مفتاح العلوم ص ٤١٥ .

(٣) البديع بين المتقدمين والمتأخرين، إبراهيم عبدالحميد السيد البلتي ص٩٠، ط: أولي القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ١٩٩٩م، و البلاغة والأسلوبية عند السكاكي ص ٥٨، و الأسلوبية دراسة لغوية إحصائية د/ سعد مصلوح ص٢٧، ط:ثانية دار الفكر العربي ١٩٨٤م.

المبحث الخامس

مظاهر صنعة السَّكَّاكِي في تراث الأصحاب في التَّجْنِيْس

برزت صنعة " السَّكَّاكِي" في التراث البلاغي للأصحاب في فن " التَّجْنِيْس" في مظاهر متعددة يمكن إيجازها في الآتي:

١- اختصاره لكلام هؤلاء الأصحاب: وظهر ذلك واضحًا في بيانه للقيمة البلاغية لفنون البديع، وذلك بجعل الحسن في جميعها حين تكون الألفاظ توابع للمعاني، ويفسر ذلك بألا تكون مُتكلَّفة، فهو يقول في نهاية حديثه عن الوجوه المخصوصة التي كثيرًا ما يُصار إليها لقصد تحسين الكلام:" وأصلُ الحُسن في جميع ذلك أنْ تكون الألفاظُ توابعَ للمعاني لا أنْ تكون المعاني لها توابع، أعني: أنْ لا تكون متكلفة"(١) .

وإذا نظرنا في تراث الأصحاب بخصوص هذه الجزئية نجد كلامهم طال وتنوع، فهذا الإمام / عبد القاهر يقول:" واعلم أنّ النكتةَ التي ذكرتها في التَّجْنِيْسِ، وجعلتُها العّلةَ في استيجابه الفضيلة، وهي حُسْن الإفادة، مع أنّ الصورة صورةُ التكرير والإعادة وإن كانت لا تظهر الظهورَ التامَّ الذي لا يمكن دَفْعُه، إلا في المستوفَى ... أو المرفُوِّ"(٢) .

كما نراه يقول:" أمَّا التَّجْنِيْسُ فإنكَ لا تستحسنُ تجانُس اللفظتين إلا إذا كان وقع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا، ولم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمًى بعيدًا ... ورأيْتَك ... أَسْمَعَكَ حروفًا مكررةً، تروم فائدة فلا تجدُها إلا مجهولةً منكرةً ... كأنه يخدعُك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يَزِدْك وقد أحسن الزيادة ووفَّاها، فبهذه السريرة صار التجنيس ... من حُلَى الشّعر، ومذكورًا في أقسام البديع"(٣) .

---

(١) مفتاح العلوم تح د/ عبد الحميد هنداوي ص ٥٤٢

(٢) أسرار البلاغة ص ٧ .

(٣) أسرار البلاغة ص ٨،٧ .

ونجد " الزمخشري " يقول في قوله تعالى: " مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ ":" من جنس الكلام الذي سماه المحدّثون البديع، وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ، بشرط أن يجيء مطبوعا، أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده "[١] .

كما يظهر اختصاره لكلام الأصحاب في بيان مفهوم بعض المصطلحات، فمثلًا نجده يعرف " التَّجْنِيْس التام" بقوله:" أنْ لا يتفاوت المتجانسان في اللفظ"، وهذا التعريف أخصر من تعريف "الرَّازِي" له بقوله: " فالمجانسةُ التامةُ إنَّمَا توجدُ إذا تساويا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها".

ويظهر اختصاره لكلام هؤلاء الأصحاب أيضًا في إهماله لكثير من التفريعات الخاصة ببعض الصور، وقد اعتمد " السَّكَّاكِي" في ذلك علي ذكر الأمثلة التي تشير بترتيبها إلي تلك التفريعات .

٢- استيفائه لمسائل فن التَّجْنيس:

فإنَّ مَنْ يطالع حديث " السَّكَّاكي" عن فن " التَّجْنيس" يجد أنَّه جاء شاملًا للصور التي يمكن أنْ يتأتى عليها في الكلام، حيث ذكر " السَّكَّاكِي" عشرة صور له جاءت وفق ترتيب بديع يكشف إحاطة صاحبه بصور هذا الفن، وفهمه العميق لطبيعة هذه الصور، فقد استهل هذه الصور بـ التجنيس التام، وأتبع ذلك بصور التجنيس غير التام، وذكر منها: التجنيس الناقص/ التجنيس المذيل/ التجنيس المُضارَع أو المُطَرَّف/ التجنيس اللاحق/ تجنيس التصحيف/ التجنيس المزدوج أو المكرر أو المردد/ التجنيس المشوش، ثم أتبع ذلك بصور التجنيس التام المركب، وذكر منها: المتشابه والمفروق، وختم حديثه عن هذه الصور بما يلحق بالتجنيس[٢].

---

(١) الكشاف ٣/٣٦٠ .

(٢) يراجع: مفتاح العلوم تح د/ عبد الحميد هنداوي ص ٥٣٩ وما بعدها .

وبالتحقيق نجد أنَّ جميعَ الصُّور التي زادها مَن جاء بعد " السَّكَّاكِي" ترجع إلي هذه الصور، ومما لا شك فيه أنَّ " السَّكَّاكِي" في ذكره للتجنيس المفرد، والمركب وصورهما قد أفاد من " الرازي" من قوله:" المتجانسان إما أن يكونا مفردين أو أحدهما يكون مفردًا والآخر مركبًا، أو كلاهما مركبًا "(١)، وإنْ كنا نجد " السَّكَّاكي" يترك بعض التفريعات المتعلقة ببعض تلك الصور، ومن ذلك قول " الرَّازي " في " التَّجْنِيْسِ المُزْدَوَجِ ":" وهو علي قسمين: تارة يكون في صدر اللفظ الأول حرفان أبدًا، كقولهم: النبيذ بغير النغم غمّ وبغير الدسم سم، وتارة لا يكون، كقولهم: مَنْ طلب شيئًا وجَدَّ وَجَد ومن قرعَ بابًا ولَجَّ وَلَجَ "(٢) .

كما نري " السَّكَّاكي" يترك بعض الصور التي ذكرها " الرَّازي" وكأنها ليست ذات أهمية، ومن ذلك قوله" واعلم أنَّ المتجانس قد يكون مذكورًا صريحًا، وقد يكون مذكورًا بالإشارة، كقولهم:

حُلِقَت لِحيَةُ موسى بِاسمِهِ *** وَبِهارونَ إذا ما قُلِبا "(٣).

٣- ترتيبه لصور التجنيس، وفصل بعضها عن بعض:

فقد ظهرت براعة " السَّكَّاكِي" في حديثه عن التجنيس، في ذلك الترتيب البديع للصور التي يمكن أنْ يتأتى عليها، حيث بدأ بالتجنيس بصفة عامة، ومنه انتقل إلي التجنيس التام، وهو ما تساوى فيه اللفظان المتجانسان في أنواع الحروف وأعدادها وترتيبها وهيئاتها، وتلا ذلك التجنيس غير التام بصوره المتعددة، ثم التجنيس المركب بصوره المتنوعة، ثم الملحق بالتجنيس بقسميه المشتق، وما يشبه المشتق وليس منه، وهو في هذا الصنيع ينهج نهج الإمامين/ عبد القاهر(ت:٤٧١هـ)،

---

(١) نهاية الإيجاز ص ٥٨ .

(٢) نهاية الإيجاز ص ٦١ .

(٣) نهاية الإيجاز ص ٦١ .

والرَّازي(ت:٦٠٦هـ)، لكن هذا التقسيم ظهر بصورة واضحة وجلية عند الإمام/ الرازي، حيث عرض للمجانسة التامة المفردة، وذكر أنها " إنما توجد إذا تساويا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها " ثم ذكر أنَّ الاختلاف في هذه القيود يودي إلي صور أخر، فإذا كان الاختلاف واقعًا في هيئتها فقط، فهو المسمى بـ " التجنيس النّاقِص"... وإذا كان الاختلاف واقعًا في أعدادها فقط، فذلك هو المسمى بـ " المُذَيَّل"... وإذا كان الاختلاف واقعًا في أنواعها فقط فإما أن يكونا متقاربين أو لا يكونا متقاربين، فالأول يسمى بـ "المضارع" و"المُطَرَّف"، والآخر يُسمَّي بـ اللاحق... وأما إذا كان في قيدين، فهو " التجنيس المُشَوَّش " كقولهم: " فلان مَلِيحُ البلاغة، لَبِيقُ البراعة " فلو كانت عينا الكلمتين مُتَّحِدَتَيْن لكان تجنيس تَصْحِيف، أو لامهما مُتَّفِقين لكان تجنيس مُضَارعة، فلما لم يكن كذلك بقي مُذَبْذَبًا، ثم ذكر مجانسة المفرد والمركّب، وذكر من ذلك المتشابه والمَفْرُوق، كما ذكر النوعين الملحقين بالتجنيس في الاشتقاق[١]،وبهذا اتضح أن السَّكَّاكِي لصنيع للرَّازي أقرب .

٤- تقريره للقواعد:

وقد ظهر ذلك من خلال تحديد المصطلحات بتحديد مفهومها، ومن ذلك ذكر المفهوم العام للتَّجْنِيْسِ بقوله " تشابه الكلمتين في اللفظ "، إذ الواضح من تراث الأصحاب عدم تقرير القاعدة الأساسية للتجنيس الكامنة في تحديد مفهومه، فمن خلال مطالعة ما كتبه " الإمام / عبد القاهر" و" الرَّازي" والعلامة الزمخشري لا نجدهم يتعرضون لـ" التَّجْنِيْسِ " بمفهومه العام، وعلي الجملة فإننا نجد " السَّكَّاكِي" لم يذكر مصطلحًا خاصًا بصورة من صور أقسام التجنيس إلا وقد ذكر مفهومها، انظر قوله:" التجنيس الناقص: وهو أن يختلفا في الهيئة دون الصورة " وقوله:" التجنيس المذيل: وهو أن يختلفا بزيادة حرف" وقوله: "التجنيس المضارع أو المطرف: وهو أن يختلفا

(١) يراجع: نهاية الإيجاز ص ٦٢،٦٣ .

بحرف أو حرفين مع تقارب المخرج "، وقوله: "التجنيس اللاحق: وهو أن يختلفا لا مع التقارب "...[1]، وهكذا نجد تقرير المصطلحات عنده يظهر بصورة واضحة لا لبس فيها، وهذا إنْ دل فإنما يدل علي دقة صنعة هذا الرجل، وفهمه لطبيعة هذا الفن .

(١) يراجع: مفتاح العلوم تح د / عبد الحميد هنداوي ص ٥٣٩، ٥٤٠ .

الخاتمة

بعد أنْ انتهي البحث من بيان صَنْعَةِ " السَّكَّاكِي" في التراث البلاغي للأصحاب في فن "التَّجْنِيْس" يمكن رصد **النتائج التالية**:

١- استخدم " السَّكَّاكِي " مصطلح " التَّجْنِيْس " دون غيره من المصطلحات الأخرى الدالة عليه، وهو في هذا يتابع الإمام / عبد القاهر، والإمام فخر الدين الرَّازي.

٢- تناول " السَّكَّاكِيُّ" أنماطَ التوافق والتخالف بين الألفاظ المتجانسة في عِدَّة أشكال، وأطلق علي كُلِّ واحدٍ منهما مُصْطَلَحًا مُحَدَّدًا يتفقُ مع حقيقة الموافقة أو المخالفة، فذكر عشرة أنواع من التجنيس، وألحق بها اللفظين اللذَيْنِ يجمعهما الاشتقاق، أو ما يشبه الاشتقاق .

٣-جاءت صنعة " السَّكَّاكِي" في فَنِّ " التَّجْنِيْس " كغيره من مسائل البديع علي طريقة الضبط والتقسيم، والتدرج في توليد المسائل والأقسام اللاحقة عن السابقة، وأهم ما يميز صنعته في ذلك هذا الترتيب البديع لجزئيات التجنيس، وتقريره للقواعد من خلال ذكر المصطلحات ومفهومها وأقسامها والتمثيل لها .

٤- كل ما انتهى إليه السَّكاكيّ في عمله هذا وليد اكتساب ومجهود ذاتي، وتفصيل ذلك: أنه استطاع أن يَخرُج من اطلاعه علي أعمال رجال البلاغة المتقدمين عليه بملخص لما نثروه في كتبهم من آراء، ثم أضاف إليها ما عنّ له شخصيا من أفكاره، ثم صاغ كل ذلك صياغة محكمة استعان فيها بقدرته المنطقية في التعليل والتحديد والتقسيم والتفريع والتشعيب .

٥- جاءت صنعة " السَّكَّاكِي " لفَنِّ " التَّجْنِيْس " كغيره من ألوان البديع قائمة علي السَّرْدِ معتمدةً علي الاكتفاء بتعديد صوره، وإردافها بمثال، أو بمثالين مجانبًا طريقة سَلَفِه ممن جمعوا بين البحث العلمي وحُسْنِ العرْضِ الأدبي .

٦- تميزتْ صنعةُ " السَّكَّاكِي" في عرضه لفنِّ " التَّجْنِيْس" بأنَّها فريدةٌ من حيث تحديد المفاهيم، ووضع حواجز فاصلة بين الألوان والصور، رغم الاختصار الواضح، معتمدا علي شواهد من عصور الاستشهاد المختلفة من .

٧- أنه ترك النظر في كلِّ شاهد وهيئته الخاصة، كما كان يفعل الإمام عبد القاهر والزمخشري، ذلك النظر الذي أثمر المزايا الكثيرة، بل اختصر أقوال هذين العلَمَيْن اختصارًا، وهو في اختصاره هذا لم يسقط من كلامهما إلا جانب المزية، وما برعا في استنباطه من نكات، وأبرزاه من مزايا.

٨- عرض " السَّكَّاكِي " لقيمة " التَّجْنِيْس" مع بيانه لقيمة أنواع البديع وروعتها عامة، فقال: "وأَصْلُ الحُسْنِ في جميع ذلك أنْ تكون الألفاظُ توابعَ للمعاني لا أنْ تكون المعاني لها توابع: أعْنِي أنْ لا تكون متكلفةً "[١]، وهو في هذا متأثر بقول الإمام / عبد القاهر: " أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانُس اللفظتين إلا إذا كان وقع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا، ولم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمًى بعيدًا"[٢].

٩- برزت صَنْعَةُ " السَّكَّاكِي" في مظاهر عِدَّة منها: اختصاره لكلام السابقين – استيفائه لمسائل الفن وحصرها– ترتيبه للمسائل وفصل بعضها عن بعض – اصطناعه للتفريعات – تقريره القواعد وغير ذلك مما جاء واضحًا في البحث .

---

(١) مفتاح العلوم تح / عبد الحميد هنداوي ص ٥٤٢ .

(٢) أسرار البلاغة تح / محمود محمد شاكر ص ١١ .

١٠- يوصي البحث بضرورة تتبع ما تبقي من صنعة " السَّكَّاكِي" في علوم البلاغة ودراستها؛ للوقوف علي مجمل صنعته في علم البلاغة العربية بل وغيرها من العلوم التي احتوي عليها كتابه؛ ومدي استفادته من تراث أسلافه من أهل الفن . والله تعالي أعلم .

أهم المصادر والمراجع

* القرآن الكريم جل من أنزله سبحانه .
* أسرار البلاغة- تح / محمود محمد شاكر ط: أولي دار المدني ١٤١٢هـ .
* الإشارات والتنبيهات للجرجاني تح/د: عبدالقادر حسين ط: مكتبة الآداب ١٩٩٧م.
* الإيضاح للخطيب- ط: دار الجيل، وتح/د: خفاجي ط: ثالثة دار الكتب العلمية .
* ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان- د:عبد المنعم خفاجي- مكتبة النجاح .
* بحوث ومقالات في البلاغة د / فتحي فريد، ط: أولي مكتبة النهضة١٩٨٤م .
* البديع في نقد الشعر تح/د: أحمد بدوي ط: الإدارة العامة للثقافة –الجمهورية المتحدة .
* بغية الوعاة للسيوطي، ط: أولى مطبعة السعادة ١٣٢٦هـ.
* البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري د/ محمد أبو موسي–ط: مكتبة وهبة .
* البلاغة تطور وتاريخ د/ شوقي ضيف–ط: التاسعة- دار المعارف١٩٩٥م.
* تاج العروس للزبيدي–تح/ مجموعة من المحققين–ط: دار الهداية .
* تحرير التحبير - تح/ حفني شرف- ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
* تحقيق التُّراث العربي منهجه وتطوره–د/ عبد المجيد دياب ط: دار المعارف .
* تحقيق التُّراث–د/ عبد الهادي الفضلي–ط: مكتبة العام- جدة .
* جنان الجناس للصفدي–تح/ سمير حسين–ط: أولي دار الكتب العلمية–بيروت.
* خزانة الأدب لابن حُجة الحموي ط:دار ومكتبة الهلال - بيروت أولى ١٩٨٧م.
* دُرَرُ الفَرائِدِ المُسْتَحْسَنَة للطَّرَابُلُسِيّ ط: أولي دار ابن حزم- بيروت – لبنان .

* زهـر الآداب وثمـر الألبـاب للحصـري القيروانـي ط: دار الجيـل- بيـروت .
* سر الفصاحة لابن سنان ط: دار الكتب العلمية- بيروت أولى ١٩٨٢م .
* شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ط: مكتبة القدسي ١٣٥١هـ .
* شرح الكافية البديعية- للحلي تح / نسيب نشاوي ط: دمشق ١٩٨٢م.
* شروح التلخيص- ط: دار السرور- بيروت- لبنان .
* صنعة السَّكاكيّ في التراث البلاغي للأصحاب في علم المعاني" للباحث/ محمد عبد العزيز أحمد سيد- دكتوراة- مخطوط بكلية اللغة العربية بأسيوط .
* الطراز للعلوي-تح/عبد السلام شاهين ط: أولي دار الكتب العلمية- بيروت .
* العمدة لابن رشيق-تح/ محيي الدين عبد الحميد-ط: دار الجيل-بيروت.
* الكشاف للزمخشري ط: الثالثة دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٧هـ .
* الكليات لأبي البقاء-تح/ عدنان درويش-ط: مؤسسة الرسالة-بيروت ١٩٩٨م.
* لسان العرب لابن منظور-ط: ثالثة دار إحياء التراث١٤١٩هـ .
* المثل السائر لابن الأثير-تح/ محمد محيي الدين-ط: المكتبة العصرية-بيروت.
* المحكم والمحيط الأعظم - تح/ عبد الحميد هنداوي- ط: أولي-بيروت٢٠٠٠م.
* المصباح المنير للفيومي – تح/ يوسف الشيخ- ط: المكتبة العصرية .
* المصطلح النقدي-إدريس الناقوري ط: ثانية المنشأة العامة للتوزيع- ليبيا١٣٩٤هـ.
* المطوَّل للتفتازاني-مطبعة/ أحمد كامل-المكتبة الأزهرية للتراث.
* معاهد التنصيص للعباسي- تح/ محمد محيي الدين-ط: عالم الكتب – بيروت.

* معانى القرآن تح/ أحمد النجاتي وآخرين–ط: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

* معجم الأدباء لياقوت الحموي ط: دار المأمون ١٩٣٨م .

* معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم للسيوطي ط: مكتبة الآداب القاهرة ٢٠٠٤م .

* معيار النُّظَّار– عبد الوهاب الزنجاني– ط: دار المعارف .

* مفاتيح الغيب للرازي–ط: أولي دار الكتب العلمية– بيروت– ١٤٢١هـ.

* مفتاح العلوم –تح د/ عبد الحميد هنداوي ط: دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان.

* المفردات في غريب القرآن للراغب– تح/محمد سيد كيلاني ط: دار المعرفة – لبنان .

* مقاييس اللغة لابن فارس – تح/ عبد السلام محمد هارون– ط: دار الفكر١٩٧٩م.

* الموازنة للآمدي، تح/ محمد محيى الدين – ط: دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان.

* نثر الدُّر للآبي –تح/ خالد عبد الغني – ط: دار الكتب العلمية – بيروت٢٠٠٤م .

* نقد الشعر لقدامة بن جعفر– تح/ محمد عبد المنعم خفاجي– ط: دار الكتب–بيروت.

* نهاية الأرب للنويري – ط: أولي ١٤٢٣هـ نشر: دار الكتب والوثائق القومية– القاهرة.

* نهاية الإيجاز للرازي–تح د/ نصر الله حاجي– ط: أولي دار صادر ٢٠٠٤م .

* الوساطة بين المتنبي وخصومه تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم – ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي.